# القدس

## الأبعاد الدينية

**PASSIA**

الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية – القدس

الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية في القدس- مؤسسة **PASSIA** مؤسسة أكاديمية أهلية مستقلة، لا تسعى للربح أو التجارة أو المنفعة المالية، وغير مرتبطة بأية جهة حكومية أو حزبية أو تنظيمية أو طائفية، وتهدف من خلال برامجها توثيق وشرح المسألة الفلسطينية في مضمونها الوطني الفلسطيني وإطارها القومي العربي وبعدها الإنساني والدولي، والإسهام في توظيف هذا الجهد الأكاديمي لتأكيد الحقوق الشرعية والوطنية والسياسية الفلسطينية ٠

إن ما ورد في هذا الكتيب من آراء وأفكار، يعبر عن اجتهاد ووجهة نظر الباحثين الذين أسهموا بهذا الجهد بصفة شخصية، ولا يعكس هذا الكتيب أو يمثل بالضرورة موقف أو رأي الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية مؤسسة **PASSIA** أو العاملين فيها، وقد قدمت ونشرت أوراق هذا الكتيب ضمن برنامج البحوث والدراسات في الجمعية للعام ١٩٩٥ ٠

جميع الحقوق محفوظة للجمعية

الطبعة الأولى كانون أول ١٩٩٥

الطبعة الثانية حزيران ٢٠٠٠

مطبوعات **PASSIA**

هاتف: ٦٢٦٤٤٢٦-٢-٩٧٢ فاكس: ٦٢٨٢٨١٩-٢-٩٧٢

ص٠ب: ١٩٥٤٥ - القدس

# المحتويات


❖ تمهيد ٥

❖ مقدمه

بقلم: د: مهدي عبد الهادي ٧

(أ) القدس والتسويه

بقلم: د٠ سري نسيبه ٢٥

(ب) القدس في الإسلام

بقلم: د٠ سري نسيبه ٤٣

❖ القدس من منظور سياحي

بقلم: د٠ برنارد سابيلا ٦١

❖ القدس - مسائل دينية وأماكن مقدسة نحو الحل الدائم

بقلم د٠ اسحق رايتر ٨٥

❖ الكتاب في سطور

د٠ سري نسيبه ١٠٧

د٠ مهدي عبد الهادي ١٠٧

د٠ برنارد سابيلا ١٠٨

د٠ اسحق رايتر ١٠٩

## تمهيد

بادر السيد جانكي شينكولي مدير المركز الإيطالي للسلام في الشرق الأوسط، ومقره مدينة ميلانو في إيطاليا، الاتصال بمؤسسات فلسطينية وإسرائيلية خلال العام ١٩٩٤، فكرة عقد ندوة دراسية أو ورشة عمل حول إحدى قضايا القدس ٠

على ضوء مبادرة المركز الإيطالي، جرت سلسلة من الاتصالات والمراسلات والمشاورات المكثفة فيما بين مدير المركز الإيطالي وكل من مؤسسة التنسيق الاقتصادي في تل أبيب والجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية في القدس، خلال العامين ١٩٩٤و ١٩٩٥ ٠

وبناء على تلك المشاورات والإجتماعات التنسيقية فيما بين المؤسسات الثلاثة المذكورة، تم الاتفاق على عقد ندوة دراسية أكاديمية بموضوع "الأبعاد الدينية والقدس" على أن تعقد خلال الفترة من ٩-١١ (مايو) عام ١٩٩٥ في مدينة ميلانو بإيطاليا ٠

قدمت الأوراق المنشورة في هذا الكتيب، في الندوة الدراسية المذكورة والتي دعا إليها واستضافها المركز الإيطالي، ووفر لها الدعم المالي بواسطة المجموعة

الأوروبية، إن الأوراق المنشورة تعبر عن وجهة النظر الشخصية لأصابها ولا تمثل بالضرورة وجهة نظر أو موقف أي من المؤسسات التي شاركت في الندوة الدراسية.

إن المركز الإيطالي سيقوم بنشر الأوراق التي قدمت في الندوة الدراسية باللغة الإيطالية، في حين، أخذت الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية على عاتقها، وبشكل مستقل عن أية ترتيبات أو علاقة بالندوة المذكورة وموافقة المؤسسات الثلاثة، مسؤولية ترجمة أوراق الندوة الدراسية إلى اللغة العربية، ونشرها في كتيب باللغتين العربية والإنكليزية ضمن برنامجها السنوي للبحوث والدراسات للعام ١٩٩٥.

# مقدمة

بقلم

د. مهدي عبد الهادي

اعترفت معظم السيناريوهات ومشاريع الحلول السياسية التي تناولت المسألة الفلسطينية بشكل عام وقضية القدس بشكل خاص، اعترفت بضرورة التعامل مع القدس كقضية خاصة وذلك للطابع الفريد الذي تتمتع به القدس ولخصوصيتها المركزية في القضية الفلسطينية، وأيضاً لأنها مكان وملتقى للأديان الرئيسة الثلاثة وأماكنها المقدسة، وبالرغم من أن قضية القدس كانت ولا تزال مركز الصراع العربي الإسرائيلي منذ بداياته، فإنها لا تزال قضية بدون حل وتمثل قلب الصدام في قضايا الصراع المستمر بين الفلسطينيين والإسرائيليين. إن مدينة القدس الحالية، تشتمل على منطقتين: القدس الشرقية المحتلة عام ١٩٦٧، والقدس الغربية المحتلة عام ١٩٤٧، وقد التزمت كل من منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الإسرائيلية بتوقيعهما اتفاق إعلان المبادئ من أجل مرحلة انتقالية ولترتيبات حكم ذاتي فلسطيني (إعلان المبادئ في ١٣ أيلول ١٩٩٣)، التزمتا: بأن مفاوضات الوضع النهائي سوف تبدأ في أقرب وقت ممكن بحيث لا تتجاوز بداية السنة الثالثة من

المرحلة الإنتقالية ·· وأن هذه المفاوضات "سوف تشمل بقية القضايا المعلقة ومن ضمنها: القدس" (البند الرابع من وثيقة إعلان المبادئ)· وبالرغم من هذا، فإن الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة لا تزال تعلن بأن القدس سوف تبقى مدينة غير مقسمة وتحت السيطرة الإسرائيلية، وبهذا فإن إسرائيل توحي بأنه لن يتبقى هنالك شيء للتفاوض حوله ·

## المسائل الأساسية في قضية القدس

لقد كانت هنالك محاولات كثيرة لبيان وتفسير العوامل المتعددة والمكونة لقضية القدس، ومن وجهة نظري، فإن هذه العوامل يمكن تلخيصها بالأمور التالية:

### ١-العامل الجغرافي والديموغرافي في المدينة

كانت مساحة مدينة القدس عام ١٩٤٧، حوالي ( ½٥٩) تسعة وخمسين كيلو متراً مربعاً ونصف، وكانت مساحة القسم الغربي من المدينة (٥٣) كيلو متراً مربعاً ومساحة القسم الشرقي من المدينة ( ½٦) كيلو متراً مربعاً بما فيها المدينة القديمة والتي تبلغ مساحتها كيلو متراً مربعاً واحداً، وكانت حدود المدينة عام ١٩٤٧ من الشرق قرية أبو ديس ومن الغرب عين كارم ومن الشمال شعفاط ومن الجنوب

مدينة بيت لحم، وكانت أراضي القرى المحيطة بالقدس والمتاخمة لخطوط حدود البلدية تعتبر جزءاً من المحيط الإجتماعي والإقتصادي للمدينة. ولكن ليست جزءاً من الجغرافيا البلدية التنظيمية للمدينة، فكانت الأحياء في القسم الغربي تشمل كل من دير ياسين ولفتا وعين كارم والمالحة ورومیما والشيخ بدر وخلة الطرحه. وفي القسم الشرقي اشتملت الأحياء على شعفاط وبيت حنينا وقرى العيزرية وأبو ديس.

وعلى أثر الحرب العربية الإسرائيلية الأولى ونكبة الشعب الفلسطيني عام ١٩٤٨، تشكلت خطوط فصل عسكرية أولى ثم خطوط هدنة مؤقتة (وقف إطلاق النار) تفصل بين قسمي المدينة كما تشكل بينهما "مناطق حرام" أشرفت عليها قوات الطوارئ الدولية التابعة لهيئة الأمم المتحدة. وفي اتفاقية الهدنة المؤقتة، وافق الجانب العربي (الحاكم العسكري الأردني) على مرور قافلة تموين كل أسبوعين عبر القسم الشرقي من المدينة – الذي تشرف عليه القوات الأردنية وأصبح يعرف بالقدس الشرقية– إلى بناية على جبل سكوبس تديرها الجامعة العبرية وذلك لتزويدها باحتياجاتها من أدوات وأجهزة وإداريين.

وعلى أثر حرب حزيران ١٩٦٧، واحتلال القوات الإسرائيلية للضفة الغربية وقطاع غزه، أعلنت الحكومة الإسرائيلية عن مصادرة أراضي في الضفة الغربية

متاخمة لحدود القسم الشرقي من مدينة القدس، وأعلنت "ضمها" لمناطق بلدية القدس وفرض القانون الإسرائيلي عليها٠

وكانت خلال ستة مراحل على النحو التالي

١ـحزيران ١٩٦٧ – ١٢٠ دونماً داخل أسوار المدينة ( الحي اليهودي)

٢–كانون ثاني ١٩٦٨ – ٤٠٠٠ دونماً في الشيخ جراح، شعفاط، لفتا، العيسوية

٣–كانون ثاني ١٩٧٠ – ١٤٠٠٠ دونماً في المالحة، صورباهر، بيت جالا، لفتا، شعفاط

٤–١٩٨٠ – ٤٥٠٠ دونماً في بيت حنينا وحزما

٥– ٩٩١ – ٢٠٠٠ دونماً في أم طوبا، صور باهر، بيت صفافا، بيت لحم، بيت جالا٠

٦–١٩٩٦ – ٦٠٠٠ دونماً جنوب القدس، جبل أبو غنيم، بيت لحم، وبيت جالا

أي ما مجموعه(٣٠٠٠٠)، ثلاثين ألف دونم = ٣٤½٪ مصادره

وبالرغم من أن القسم الشرقي من المدينة، ونتيجة ضم أراضي من الضفة الغربية إليه، وأصبحت مساحته حوالي (٧١) كيلو متراً مربعاً، إلا أن سياسة "تهويد" المدينة تمثلت في سلسلة من قرارات المصادرة الإسرائيلية وخطط التنظيم البلدي التي قيدت واقع ومستقبل هذه المساحة إلى النحو التالي:

٣٤٪ أراضي مصادرة

٤٠٪ مناطق خضراء

٧٪ أراضي غير مستعمله

٦٪ أبنيه تحتية وشوارع

٣٪ أراضي مجمده

٩٠٪ ما مجموعه من أراضي القدس الشرقية (المؤسسة منذ ٦٧-٩٧) مقيدة بفعل القرار الإسرائيلي وما تبقى عشرة في المائة (١٠٪) فقط تحت تصرف الأيدي العربية والتي تقدر مساحته بحوالي تسعة آلاف وأربعمائة دونم (٩,٤٠٠) فقط.

وفيما يتعلق بالسكان، فقد كان عدد سكان القدس قبل العام ١٩٦٧ (١٩٥) ألف نسمة في القسم الغربي و(٧٥) ألف نسمه في القسم الشرقي من المدينة المقسمة.

وقد حرصت إسرائيل على المحافظة على النسبة ٧٢٪ يهود و ٢٨٪ فلسطينيين حتى مطلع التسعينات، حيث أصبح السكان اليهود (٣٣٠) ألف نسمه في القسم الغربي بالإضافة إلى (١٦٠) ألف مستوطن في (٢٨) مستوطنة في القسم الشرقي أي ما مجموعه (٤٩٠) ألف يهودي مقابل (٢١٠) آلاف مواطن فلسطيني في

القسم الشرقي بالإضافة إلى (٥٠) ألف مقدسي يقيمون خارج حدود البلدية الحالية أي ما مجموعه (٢٦٠) ألف نسمه، بحيث تغيرت النسبة التقليدية إلى ارتفاع عدد المواطنين الفلسطينيين مقابل اليهود في المدينة ٦٧٪ لليهود مقابل ٣٣٪ مواطن فلسطيني أما في القسم الغربي من المدينة ، فلا بد من التذكير المستمر بأن حوالي (٨٠)ألف مقدسي أجبروا على النزوح ومغادرة القدس الغربية عام ١٩٤٨، وقد اشتملت الممتلكات (أراضي وعقارات)على ٤٠٪ ممتلكات فرديه فلسطينية و ٣٤٪ ممتلكات للأوقاف الإسلامية، والكنائس المسيحية والمباني الحكومية ، و٢٦٪ ممتلكات يهودية، واستمرت السياسة الإسرائيلية في منع أي فلسطيني من الإقامة في القدس الغربية من عام ١٩٤٨ ولغاية اليوم.

## ٢- العامل الوطني والسياسي

لقد كانت القدس وما زالت جزءاً لا يتجزأ من فلسطين، وتعود جذورها التاريخية إلى الحضارة العربية منذ خمسة آلاف عام عند تأسيسها باسم مدينة "يابوس"، وترسخت هويتها الإسلامية والعربية بكونها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وبالتالي أصبحت القدس جزءاً من العقيدة الإسلامية،فالقدس من الأماكن الأساسية التي ساعدت العرب على بلورة هويتهم الدينية وإدارة ظهورهم لعهد الوثنية

وعبادة الأصنام والانضمام لعائلة التوحيد، كما وضعت أسس هويتها العربية بالعهدة العمرية التاريخية وبالثبات واستمرار الحضور السكاني والعمراني والتراثي والحضاري العربي في المدينة دونما انقطاع. ولقد قدم الآلاف حياتهم في الدفاع عنها وحمايتها، وتعتبر رمزاً وطنياً فلسطينياً يجسد الهوية الوطنية والحقوق الشرعية. إن الثقافة والحضارة الإسلامية كانتا الصبغة المسيطرة في المدينة، وكانت هوية القدس العربية بمؤسساتها الثقافية والحضارية والتاريخية والمعمارية، عوامل تأكيد على أهمية وضرورة حماية هذه الأماكن للمحافظة على القدس كمدينة تاريخية. ولا يمكن لأحد أن يبرر الإحتلال الإسرائيلي، أو يستند إلى سياسات وممارسات الإحتلال الإسرائيلي طوال (٢٨) عاماً، متجاوزاً أو متجاهلاً (١٤٠٠) عاماً من الحكم العربي الإسلامي للمدينة بشكل متواصل ودونما انقطاع.

٣-العامل الديني

تعتبر الحقوق الدينية لاتباع الديانات الثلاث في القدس فريدة وذات صبغة خاصة، وتمنح تقديرات متعددة للأماكن المقدسة في المدينة. إن الصبغة الدينية للمدينة قد تكون عاملاً معقداً لمحاولات البحث عن حل سياسي لقضية القدس، وفي نفس الوقت، عاملاً يمكن استغلاله لتحقيق أهداف غير دينية. ومع هذا، فإن المعنى

الديني للإرتباط بالمدينة سيبقى عاملاً ذا أهمية بالغة. فالقدس مدينة عربية إسلامية، وفيها حضارة عربية إسلامية ومسيحية، وإن ارتباطها بالإسلام يعود إلى حقيقة أنها كانت أولى القبلتين ومسرى النبي محمد علي الصلاة والسلام في رحلته المشهورة الإسراء والمعراج إلى بيت المقدس، وأن المسجد الأقصى هو ثالث الحرمين الشريفين. وأن الخليفة عمر بن الخطاب عندما دخل المدينة في القرن السابع الميلادي، أكد على "الخصوصية الدينية" للمدينة، بتعظيم "الصخرة" التاريخية وإقامة مسجد حولها، وبتوقيعه ما أصبح يعرف "بالعهدة العمرية" مع البطريك صفرونيوس. لقد ربط الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، بين الهوية السياسية والدينية في القدس مسمياً نفسه خليفة "بيت المقدس"، وأعاد إعمار وبناء مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى، وكذلك فعل عبد الملك بن مروان وبقية حكام المسلمين. فالقدس جزء من العقيدة الإسلامية، والقدس أيضاً عاصمة العقيدة المسيحية،فهي أم الكنائس وفيها كنيسة القيامة والكنيسة العربية وجبل الزيتون، وارتباطها بالسيد المسيح وحياته ورسالته جعلها مركزاً للعقيدة المسيحية ومقدساتها .

## ٤-العامل القانوني "مسألة الملكية والممتلكات "

منذ تطبيق بنود قرار التقسيم للعام ١٩٤٨ (قرار هيئة الأمم المتحدة رقم ١٨١)، بقي موضوع القدس معلقاً. إن حدود وطبيعة ومدى فعالية القانون الدولي والإقليمي وأيضاً التشريع المحلي والإداري الذي حكم المدينة، كانت مسألة خلق أمر واقع على الأرض بواسطة السلطة الحاكمة، والصراع حول القدس اليوم لا يزال في أساسه معركة حول الملكية وأيضاً حول السلطة الحاكمة فيها .

ليس هناك شرعية أو إجازة في القانون الدولي أو مستند المقررات الدولية منذ مطلع هذا القرن بما فيها قراري مجلس الأمن الدولي ٢٤٢ و ٣٣٨، يمكن أن تجيز لإسرائيل الإستيلاء على الأرض العربية في القدس العربية، إن القانون الدولي يمنع ضم أراضي الغير بالقوة، والقدس الشرقية تعتبر أراضي محتلة، وبالتالي فإن الممارسات الإسرائيلية بشأن المدينة (مثل تغيير طابع المدينة وبناء المستوطنات، ونقل المؤسسات الإسرائيلية إلى المدينة، أو إعلان ضمها إلى الدولة العبرية) مرفوضة فلسطينياً ويقاومها المواطنون الفلسطينيون وتعتبر أمور غير شرعية وغير قانونية وغير معترف بها، وبالإضافة إلى ذلك، فإن ما جاء في قرار هيئة الأمم رقم ١٩٤ حول حق العودة

أو التعويض لا يزال يشوه ويحرف إسرائيلياً خاصة فيما يتعلق بالممتلكات العربية في القدس الغربية والتي سيطرت عليها إسرائيل منذ العام ١٩٤٨ كما سبق وذكر.

٥-عامل المؤسسات

في أعقاب حرب عام ١٩٦٧، أصبحت كامل المدينة المقدسية محتلة من قبل القوات الإسرائيلية وأجبر العديد من مواطنيها العرب على إخلاء منازلهم وترك ممتلكاتهم أو جرى هدم منازلهم وإلغاء معالمها، وعندما أعلنت إسرائيل عن ضم القدس الشرقية وإخضاعها للقانون الإسرائيلي فإن الفلسطينيين رفضوا وقاوموا ولم يقبلوا أبداً بالسلطة أو بفرض "السيادة" الإسرائيلية على المدينة. وكان أحد مظاهر ذلك رفضهم لسلطة البلدية في القدس الغربية وحاولوا المحافظة على الطابع العربي لمؤسساتهم. ويمكن متابعة ملف المقاومة الفلسطينية في القدس منذ الأيام الأولى للإحتلال الإسرائيلي عام ١٩٦٧، عندما أعلن الشيخ عبد الحميد السائح رئيس الهيئة الإسلامية العليا في القدس (الفتوى الإسلامية المشهورة برفض المسلمين الخضوع للحكم أو القانون اليهودي الإسرائيلي). إن من أبرز مظاهر المقاومة الفلسطينية هو المحافظة على المؤسسات العربية الرئيسة في المدينة مثل المؤسسات التجارية والمستشفيات وشركة الكهرباء العربية والمؤسسات الثقافية والمحاكم الشرعية

ومكاتب السياحة العربية وشبكة المواصلات العربية ومراكز البحوث العلمية والثقافية والتعليمية والخدمات الإعلامية والصحفية العربية وغيرها، وبالرغم من أن مؤسسة البلدية العربية في المدينة قد جرى حلها وإغلاقها بالقوة من قبل الإحتلال الإسرائيلي، وفرض سيطرة البلدية في القدس الغربية على الخدمات العامة في قسمي المدينة بعد حرب عام ١٩٦٧، فإن الأحياء العربية استمرت في الثبات وكمجتمعات منفصلة عن الجانب الإسرائيلي ورفض مواطنوها أن يصبحوا إسرائيليين، وقاطعوا انتخابات البلدية، وأيضاً المؤسسات السياسية في الدولة العبرية ٠

٦-العامل النفسي

إن القدس مدينة محتلة وغير موحدة، وإن الحدود بين أقسامها لم تختف، بل جرى استبدالها بحدود نفسية غير مرئية هي حدود الخوف، وأن وجود المستوطنين الذي يهددون المجتمع الفلسطيني من داخله يشكل خطراً جديداً، إن الإحتياجات الأمنية الفلسطينية لا تتحقق إلا بإنهاء الإحتلال الإسرائيلي والإعتراف مع ضمانة حق تقرير المصير للفلسطينيين بما فيه الحق في الدفاع عن النفس ضد العدوان الخارجي، وأيضاً مقاومة الإخضاع أو التحكيم الداخلي ٠

********

# مستقبل القدس

إن المحور الرئيسي لرؤيتي لحل سياسي لقضية القدس، هو في الإعتراف بأن القدس الشرقية جزء لا يتجزأ من الأراضي الفلسطينية المحتلة، وأنها العاصمة السياسية والدينية والجغرافية والثقافية لفلسطين.

وعلى ضوء الواقع السياسي والجغرافي والديمغرافي في المدينة، فإنني أعتقد بضرورة وأهمية إستمرار الإرتباط والتواصل فيما بين القدس الشرقية والضفة الغربية، بل كجزء لا يتجزأ من فلسطين ومركز الدولة الفلسطينية المستقبلية .

وتبقى القدس الغربية، جزءاً من إسرائيل، ولن يقبل الفلسطينيون، بأي حال من الأحوال، ما ترسمه الإستراتيجية الإسرائيلية في خلق "جيتو" فلسطيني أو أكثر وفي جعل القدس الشرقية أحد هذه المناطق المعزولة .

أما بالنسبة للشكل المستقبلي للمدينة، فأنا أعتقد أنه يجب أن تكون مدينة "مفتوحة" دونما أسوار أو حواجز أو حدود تفصل بين القسمين الشرقي والغربي لكن غير "موحدة"سياسياً وليس تحت السيادة الإسرائيلية. فنحن غير معنيين بتقسيم المدينة، ولكن لدينا واقع وجود حدود غير مرئية بين قسمي المدينة، ومع هذا فيمكن

أن تكون هذه الخطوط الفاصلة بين قسمي المدينة مرنة وآمنة وسهلة العبور بحيث تؤمن حرية انتقال الناس ووصول بضائعهم !٠

لقد رسمت خرائط عديدة لتطوير المدينة عقب القرون والسنوات ومع تغيير إدارات المدينة،وكانت مسألة توسيع وتطوير رقعة قسم من المدينة على حساب القسم الآخر أمراً ظاهراً، ومع هذا، فليس هناك حدودا تقرر أية قدس نتحدث عنها٠ وإنني أقترح ذلك الخط الذي يرسم "الخط الأخضر" الذي يبين خطوط العام ١٩٦٧بين القسم الشرقي والقسم الغربي للمدينة ٠

وبالرغم من القرار الإسرائيلي غير الشرعي، بإعلان سياسي بضم القدس الشرقية للدولة العبرية ، واستمرار المحاولات في خلق واقع جديد للفصل والسيطرة، لا يوجد هناك أي مؤشراً أو قبول لفكرة مدينة "موحدة "على النحو الذي تحاول الدعاية الإسرائيلية إقناع العالم بها٠ إن الواقع الحالي في غياب المساواة والعدالة هو مجابهة، وتمييز فيما بين قسمي المدينة ٠

ويصف السيد فيصل الحسيني، الإستراتيجية الإسرائيلية بالنسبة للمدينة منذ "إعلان المبادئ" أنها تتضمن السياسات التالية:

١- عزل القدس عن الضفة الغربية بدعوى احتياجات الأمن الإسرائيلي، وبهذا تمنع الآلاف من الوصول إلى المدينة لأغراض العمل أو العلاج أو التعليم أو العبادة أو لقضاء مصالحهم الإقتصادية ٠

٢- تقييد ومنع إعطاء تراخيص للمواطنين في القدس في شؤون أعمالهم الحياتية، الأمر الذي يجبرهما على مغادرة المدينة، والإقامة خارجها ومزاولة أعمالهم التجارية أو المهنية في مكان ما في الضفة الغربية ٠

٣- عزل المواطنين الفلسطينيين في القدس عن بقية العالم، وذلك بالضغط على الوفود والبعثات الأجنبية والدولية، عدم الإلتقاء أو الإجتماع بممثلين سياسيين أو مهنيين فلسطينيين في القدس، مع التركيز على بيت الشرق ٠

٤- تقييد ومحاصرة النشاطات الفلسطينية في القدس، وهذا لا يشمل التهديد بإغلاق مؤسسات أو تنظيمات بل أيضاً بفرض الأنظمة والقوانين الإسرائيلية، مثل مطالبة هذه المؤسسات التقيد بالتعليمات الإسرائيلية من ناحية تقديم التقارير الدورية لها حول أعمالها ومشاريعها ومصادر تمويلها ٠

وأمام هذه التهديدات الإسرائيلية، وكاقتراح شخصي وكمقدمة لطرح تصوير مستقبلي للقدس٠ فإنني أرى أن هناك حاجة ماسة لمجابهة هذه التحديات دونما

حاجة لإعادة التأكيد والتذكير للقاعدة المنطقية والقانونية لهذه الحاجات. ولكني أؤكد على أهميتها لإقامة سلام بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، إن هذه الحاجات الأساسية والضرورية والتي تتطلب التنفيذ على النحو التالي:

١- تجميد أية أعمال أو إجراءات لتغيير معالم القدس، جغرافياً، سكانياً، مؤسساتياً، ولا حاجة للقول بأن هذا الأمر ورد في رسالة شمعون بيرس إلى وزير خارجية النرويج (هولست) والتي أكد فيها على:"أن المؤسسات الفلسطينية في القدس ومصالحها واستمرارها في خدمة الفلسطينيين في القدس الشرقية، هي ذات أهمية بالغة ويجب المحافظة عليها".

٢- برنامج إصلاح لتعديل وتصحيح الأضرار والأخطاء التي لحقت بالمجتمع الفلسطيني جراء الممارسات الإسرائيلية طوال ٢٨ عاماً الماضية، ويجب أن يشتمل هذا البرنامج على ضمانات "لعدم إضعاف النشاطات الفلسطينية لتطوير حياتهم اليومية" ويجب أن يجد هذا البرنامج تمويلاً من كافة الأطراف المعنية بما فيها إسرائيل

٣-إلغاء ورفع كافة القيود السياسية والعسكرية والطوق المحاصر للقدس الشرقية، وإعادة فتح أبواب القدس الشرقية لبقية المجتمع الفلسطيني، ومن أجل أن يستمر التواصل وحرية الوصول والإنتقال إلى المدينة مع ضمان حرية العبادة .

٤-اتخاذ إجراءات فورية ضد المتعصبين والمتدينين الإسرائيليين والذين يهددون المجتمع الفلسطيني ومواطنيه، والحيلولة دون تصعيدهم للمجابهة أو الإستفزاز أو التحدي بالنسبة للممتلكات الفلسطينية والأماكن المقدسة في المدينة المقدسة ٠

وعندما تتحقق هذه المطالب بطريقة أو بأخرى، يمكن القول، إن الفلسطينيين والإسرائيليين يقفون معاً أمام "العدالة" على قدم المساواة، الأمر الذي يساعدهم في مناقشة مستقبل مشترك في القدس، وطرق وإمكانيات المشاركة في شؤون المدينة ٠

إن مشكلة القدس، لن تجد لها حلاً إذا لم يتم الإعتراف بالحقوق الفلسطينية وممارستها على أرض الواقع، ويتم إنهاء الإحتلال للقدس الشرقية، ليس أمراً شرعياً أن تنحصر الحقوق في فئة واحدة من السكان (الإسرائيليون) وليس هناك عدالة في أن تكون هناك سلطة واحدة أو حكم واحد يفرض سيطرته على المدينة٠ وبالتالي يجب تغيير الأمر الراهن، بحيث يمكن إيجاد صيغة تمكن الطرفين المشاركة في المدينة وبمساواة ما نحن بحاجة إليه، هو أن تكون هناك عاصمتان، سيادتان، بلديتان، وحياة مستقلة لكلا الشعبين في مدينة مفتوحة وحرة:منفصلان ولكن مشتركان ! لكلا الشعبين الفلسطيني والإسرائيلي كامل الحق في إدارة شؤونهم الحياتية بشكل مستقل،

وممارسة مستقلة في اتخاذ القرار وأيضاً تحمل مسؤولية الأمور الحياتية اليومية لمجتمعيهما. وهذا هو مفتاح التعايش، وعلى هذا الأساس يمكن لهما التعاون والتنسيق في القضايا ذات الإهتمام المتبادل، مثل الكهرباء والمياه، ولكن في نهاية المطاف، لا بد أن تتوفر لي هذه المعادلة، كفلسطيني، بأن أخاطب الحكومة الوطنية في أي شأن، وأن أتوجه للقيادة الفلسطينية المنتخبة بأية مطالب أو التزامات، فأنا مواطن فلسطيني، أقيم في القدس الفلسطينية، أتبع والتزم بالسياسات الفلسطينية والقوانين والأنظمة الفلسطينية. ولتحقيق هذه الغاية ولإنهاء الصراع، لا بد من إنهاء الإحتلال العسكري للمدينة المقدسة، ويجب أن يعطي السلام فرصة في المستقبل، بدءاً بالاعتراف المتبادل بالادعاءات والحقوق المتبادلة في القدس، وبدون أي تأخير.

يجب أن تكون القدس عاصمة الشعب الفلسطيني، وعاصمته دولته المستقبلية، أنها مركز السيادة الفلسطينية العربية وعنوان شرعيتها. إنها مركز النشاطات والفعاليات الفلسطينية، أنها قلب النضال والوطن الفلسطيني.

إن الوحدة الجغرافية للأراضي الفلسطينية المحتلة لا تتحقق بدون القدس، وأيضاً التلاحم والتواصل السكاني، وبدونها فإن الوحدة الجغرافية والبشرية للمجتمع الفلسطيني لن تتحقق. وعلى أي حال، فإنه لا يمكن فصل الناس عن الصيغة

السياسية التي يريدونها، إذا أردنا أن يكون الأساس هو الحرية والمساواة وتقرير المصير.

وعلى هذا الأساس، ومن أجل أبنائنا وأحفادنا، ولنعيش معاً بمساواة جنباً إلى جنب في القدس، دعونا نشارك معاً في مكونات المدينة ونحافظ على أماكنها المقدسة، وآثارها العمرانية التاريخية وتطور اقتصادنا، لا بد أن نعمل لمستقبل أفضل.

**********

# القدس والنسوية

د. سري نسيبه

سيطرت إسرائيل على القدس كما نعلم على مراحل، ففي سنة ١٩٤٨، استولت على الجانب الغربي منها، والذي كان في معظمه آنئذ منطقة سكنية راقية، شملت البقعة الفوقا والتحتا. والقطمون والطالبية وماميلا والشماعة، إلى جانب أجزاء من "أبو طور" والمصرارة ورحافيا، كما شمل ذلك الجانب أيضا، الضواحي المحيطة بالمدينة من الجهة الغربية والجنوبية الغربية والشمالية الغربية، (لفتا ودير ياسين وعين كارم والمالحة)، وكذلك قلب المركز التجاري آنئذ، وفي سنة ١٩٦٧، استولت إسرائيل على البلدة القديمة وضواحيها، في الشمال والشرق والجنوب، إلا أن إسرائيل مع ذلك، لم تشرع في تطوير المدينة شرقاً وغرباً بشكل جدي، إلا بعد سنة ١٩٦٧، وقد شمل برنامج إسرائيل التطويري المكثف فيما بعد سنة ١٩٦٧، مشاريع الإسكان والبنية التحتية المرافقة لها، في منطقة ضمتها إسرائيل من جانب واحد تمتد عبر الخط الأخضر، ويبدو واضحاً أنه تم تخطيطها بطريقة تؤدي إلى ما يلي :

أ- إيجاد مجمع عاصمي موحد بالأساس، ينتشر دون تمييز عبر ما كانت ذات يوم حدوداً ومناطق عازلة، وحدوداً قروية وبلدية، إلى جانب الأراضي التي تمت مصادرتها لهذا الغرض (حوالي ٢٢ ألف دونم).

ب- ضمان أن تطوق شبكة التمديدات للبنية التحتية هذه، في نهاية المطاف وعلى الصعيد العملي، الإنتشار الجغرافي والسكاني للقسم الشرقي من المدينة، الذي كان يسكنه العرب كاملاً ذات يوم، وأن تجزئه وتحيله إلى مجموعة مبعثرة ممزقة من المناطق، إن يتميز بشيء فيتميز فقط بالغياب الكامل من برامج المدينة التطويرية.

نعلم أيضاً، أنه في الوقت الذي كان يتم فيه ذلك النشاط العمراني اليهودي المحموم، كانت تطبق سياسة محمومة مماثلة لمنع إصدار تصاريح بناء للسكان العرب، الذين تضاعفوا خلال السبعة والعشرين عاماً منذ سنة ١٩٦٧، وفي المعدل، نجد أن مجموع ما سمح ببنائه من وحدات سكنية للسكان العرب في القدس خلال سبعة وعشرين عاماً، (والذي زاد قليلاً عن ٧٥٠٠ وحدة)، يعادل ما سمح به من بناء في الجانب اليهودي في القدس سنوياً. ومع ذلك فإن القسم الأعظم من التصاريح التي

أعطيت للسكان العرب، جاء على خلفية الإخلاء القسري للسكان العرب من الحي اليهودي أو حي المغاربة في البلدة القديمة [1]٠

أما فيما يتعلق بالسكان، فقد كانت النتيجة الطبيعية للجهود التي تم توظيفها في البناء، أن جرى توطين أكثر من ١٥٠ ألف يهودي عبر الخط الأخضر، كما أدى ذلك أيضاً إلى أن يصبح القسم الشرقي من المدينة مقسماً بالتساوي تقريباً بين سكانه العرب واليهود٠ إلى جانب هذا الرقم الذي يتجاهله الكثيرون، فقد تجاوز عدد المستوطنين الإسرائيليين في المناطق المحتلة حالياً ربع مليون نسمه٠

لا حاجة لإضاعة الوقت كي نثبت سياسة التميز الإسرائيلية الفظة، حيث أن هذه السياسة التي تثير الغثيان صارخة إلى درجة تتحدث بها عن نفسها، ولعل الاحتجاجات الشديدة التي قام بها سكان بيت ساحور وأم طوبا قبل فترة وجيزة،

---

[1] "الحي اليهودي ": يقال في واقع الأمر أن أكثر من ٧٠ في المائة من الممتلكات في تلك المنطقة، هي ممتلكات عربية٠ لقد قطن اليهودي ذلك الحي قبل سنة ١٩٤٨، باعتبارهم مستأجرين في الأغلب أو مالكين في بعض الحالات٠ وبعد أن القت حرب ١٩٦٧اوزارها، قامت السلطات الإسرائيلية بهدم الحي ومحوه تماما. وذلك لإقامة ما يسمى اليوم (بالحي اليهودي)٠ أما السكان العرب من ذلك الحي ومن مناطق أخرى في البلدة القديمة، ممن أجبروا بالقوة على النزوح، فقد استقروا في النهاية في مشروع إسكان جديد في بيت حنينا (مشروع نسيبه)، الذي سمح الإسرائيليون بإقامته أو أنهم انتقلوا للإقامة في مخيم جديد للاجئين في منطقة شعفاط، إن تاريخ الوجود اليهودي في مواجهة الوجود غير اليهودي في المدينة، غالبا ما تلفه ضباب أيديولوجي وديني٠ فيما يتعلق بالتاريخ الحديث نسبيا، تجدر الإشارة إلى مؤلف ز٠ نسيبه مؤخرا، والذي يقدم إشارة إلى ناحيتين مهمتين في هذا السياق وهما أ- إن المد السكاني اليهودي في القدس حدث في القرن التاسع عشر فقط، استجابة للأيديولوجية الصهيونية، ب- إن الخليفة عمر بن الخطاب، هو الذي مكن اليهود لأول مرة بعد نفي طويل من الإقامة في المدينة٠

الذين يعانون من شحة خانقة في مساحة الأراضي، ضد مخطط توسيع مستوطنة جيلو إنما هي دليل على ذلك ٠

قد يبدو غريباً على خلفية هذا التحدي السياسي والإنساني، أن مقدسياً فلسطينياً، أشبعت أحاسيسه بالسياحة حتى النخاع، ويتعرض وجوده القومي في المدينة للخطر، ما زال مع ذلك، يعتبر أن الجانب الأكثر سوءاً من مجمل هذه الهجمة، هو اغتصاب تلال المدينة ووديانها وريفها٠ ربما كان الإعتقاد الديني ما زال يعتبر القدس البوابة الدنيوية المؤدية إلى العالم السماوي، كما هو وارد في الإسلام مثلاً من خلال الإسراء والمعراج، وهي القصة التي يبدو أن أهميتها لا تلقي ما تستحقه من التقدير العالمي، إلا أننا نطالع اليوم وجه القدس الإسمنتي، وننظر إلى واقعها الإنساني، فإنه يصعب ألا يساورنا شك حول هذه المسألة، وألا ينتابنا شعور بالحزن، بسبب اندثار ذلك الإمتزاج المميز لأشعة الشمس، بنسيج الأرض، الذي نعمت في ظلاله حجارة المدينة الأثرية والمناطق الريفية المحيطة بها سواء بسواء ٠

آمل أن يحل ذلك اليوم، الذي تنصرف فيه الأفكار، بعد أن يكون قد تم إنجاز تسوية سياسية، للحفاظ على ذلك التميز الروحي للقدس وضواحيها٠ إلا أنني لا أسعى في هذه العجالة إلى البكاء على أطلال الماضي أو الحاضر، بقدر ما أسعى إلى

تقديم بعض التصورات لمستقبل ممكن التحقيق في هذا المقام، لا أظنني سأتجاوز كثيراً تلك الأفكار التي أتيح لي أن أطرحها في مواقع أخرى مختلفة [٢]

بإيجاز، فان توجهي الشخصي نحو مسألة القدس، مثل توجهي نحو المسألة الفلسطينية عموما، محكوم بمبدأ لا يستسيغه الفلسطينيون عموماً، ألا وهو وجود إسرائيل على الخارطة بحكم الأمر الواقع، وبمبدأ آخر لا يستسيغه الإسرائيليون عموماً، ألا وهو ضرورة تقاسم "البضاعة "بعدل بين الإسرائيليين والفلسطينيين، أخشى أنه بدون إدراج أي من هذين المبدأين في أية صيغة للتعايش يجري تصميمها، فإن سكان المدينة وسكان البلاد الأكثر عموماً، سيكتشفون على الأغلب بأن مدينتهم ما هي إلا بوابة إلى الجحيم لا إلى الجنة السماوية، ومن جهة ثانية، فإنه لا فائدة من التفكير بصيغ للسلام أصلاً، إن لم يتم إدراج هذين المقومين، إذ أن بإمكان هذا الطرف أو ذاك ببساطة، أن يحقق ما يصبو إليه بالقوة، إن استطاع إلى ذلك سبيلاً، ولن يكون هناك حاجة للجوء إلى مبادئ العقل والأخلاق للتأثير في ذلك ٠

---

[٢] أنظر مثلا حيثيات اللقاء الذي جرى في نيسان ١٩٩٣ برعاية الأمم المتحدة حول القدس، وأصدرته ضمن منشوراتها تحت عنوان: Jerusalem: Visions of Reconciliation لقد نشرت مساهمتي هناك، في جريدة الفجر باللغة الإنجليزية الصادرة في ٣ أيار ١٩٩٣ كما قدمت اقتراحات مماثلة في No Trumpets, Nodrums وكذلك في مقال موجز صدر في Tikkum في أيار ١٩٩١ ٠

أما إذا كان علينا أن نلجأ إلى مبادئ العقل والأخلاق هذه، لتلعب دورها في هذه القضية، فإنه يصبح واضحاً عندئذ، بأن على الفلسطينيين والإسرائيليين أن يجدوا صيغة يمكنهم بموجبها أن "يتقاسموا البضاعة" فيما بينهم بالقسطاط.

هنالك نهجان متميزان يمكن اعتمادهما لأغراض تصميم المعادلة المرجوة، إن كنا ننظر إلى البلد عموماً، أو إلى القدس العاصمة. فالحقوق يمكن أن تقسم وتوزع على الأفراد، أو يمكن أن تقسم وتوزع على كيانات جماعية أو مجموعات. فإذا ما نظر المرء إلى البلاد بمجملها، فإن المنهج الفردي قد يعني أن تكون لكل فلسطيني ولكل إسرائيلي حقوق سياسية متساوية. وقد تشمل هذه الحقوق، حق الفرد بأن يعيش بأمان في بيته، والحق في أن يعود إلى هذا البيت إذا ما كان محروماً من حق العيش فيه، وبأن يكون مواطناً كاملاً، أي أن يكون مشاركاً في تقرير مستقبله إلى الحد الدستوري الممكن، وأن يتساوى في ذلك مع كل مواطن آخر في الدولة. إن تطبيق نظام فردي كهذا، قد يعني بوضوح، إنشاء دولة ديمقراطية ثنائية القومية، ومتعددة الديانات، بعد إدخال تعديلات للتعويض عن الحقوق، وخاصة حق العودة الذي لا يمكن تطبيقه حرفياً على المستوى نفسه من المعادلة والتوازن، ولكن من نقطة انطلاق معاكسة، أي من خلال الفصل أو التقاسم بدل المزاوجة والدمج، فإن الحقوق

يمكن أن تقسم بين كيانات جماعية أو مجموعات ينتمي إليها الأفراد، أي بين الشعبين الإسرائيلي والفلسطيني على شكل دولتين منفصلتين.

يمكن أيضاً تطبيق مبدأ التكافؤ السيادي هذا على القدس العاصمة، وذلك أيضاً باختيار ما بين نهجين، إما بتوزيع حق السيادة على القدس بين أبنائها بشكل فردي، بغض النظر عن مواطنتهم، ووضع إقامتهم الحالي [٣]، أو أن يجري توزيع هذا الحق من خلال الفصل والتقسيم بين الدولتين، إسرائيل وفلسطين، بموجب النهج الأول، فإن السيادة في المدينة ستكون ملكاً للمدينة، يمارسها مواطنوها أساساً، بدل أن تكون ملكاً لدولتيهم، وذلك من خلال حكومة متعددة القوميات والأديان. يمكن بالطبع ترسيخ حقوق وامتيازات خاصة لكل من الدولتين المذكورتين إسرائيل وفلسطين، ولدول أخرى في المنطقة والعالم أيضا، على درجة أقل أو على نحو مختلف. قد تتضمن مثل هذه الحقوق والامتيازات في حالة إسرائيل وفلسطين، حق اعتبار المدينة الموحدة عاصمة لهما على التوالي، تقيمان فيها حكومتيهما. إلا أنه ورغم كل المقاصد والأهداف، فإن المدينة ستتمتع بكيان مستقل Corpus

[٣] الإشارة هنا هي إلى أهل القدس الفلسطينيين، الذين أنكر عليهم حقهم في العودة أو العيش في مدينة أجدادهم، ويقدر عددهم بستين ألفاً ومعهم نسلهم، أولئك الذي أجبروا على الرحيل سنة ١٩٤٨، إلى جانب عدد غير محدود رحل سنة ١٩٦٧، حيث أنهم كانوا وما زالوا يفضلون العودة للعيش في المدينة .

Separatum تمنحها إياه الدولتان، ويؤكده المجتمع الدولي وضمن حدود هذا الكيان (الذي يمكن أن تقرر الدولتان امتداده وشكله فيما بينهما إذا ما رغبتا بأن تتبعا هذا النهج)، فإنه ينبغي إعطاء اهتمام خاص للحفاظ على التوازن الديني والعرقي للمقيمين في المدينة، من أفراد ومجموعات، سواء كان ذلك على المستوى السياسي أو الديموغرافي أو التنموي. وإذا ما أخذنا بالاعتبار المجموعتين القوميتين الموجودتين، فإنه يمكن القول أنه بالإمكان التعبير عن صيغة أكثر واقعية لهذا النموذج، من خلال قيام الدولتين نفسيهما، بإدارة أو ممارسة الحقوق الإجمالية الموزعة، بشكل مباشر وعادل ومتساوي تماماً كما يتشارك شخصان أو أكثر في إدارة برنامج كمبيوتر، بدل أن تقوم الدولتان بذلك بشكل غير مباشر من خلال مواطنيهما. ورغم قيام هاتين الدولتين بالتقاسم، إلا أنه من المفهوم وفق هذا النهج بأن كل دولة ستمارس أو تدير حقوق سيادة تعود بالأساس de primo للمدينة وسكانها الذين تتجسد فيهم هذه الحقوق.

أما بموجب النهج الثاني، فإنه يمكن توزيع السيادة في المدينة بالمقام الأول على الدول نفسها، بحيث تعلن كل دولة بأن الجزء الذي يقع ضمن نطاق منطقتها الإقليمية، إنما هو عاصمة لها، أما المبدأ الذي يجب أن يسترشد به في تحديد الحدود

في هذه الحالة، فإنه ليس سوى المبدأ نفسه الذي يعتبر فعالاً في المحادثات العربية – الإسرائيلية، ألا وهو خط حدود سنة ١٩٤٨، أو ما يعرف بالخط الأخضر· إلى جانب إمكانية استخدام هذا الخط على أنه المبدأ الذي يسترشد به، فإنه يمكن تصور إجراء تعديلات حدودية متفق عليها، يكون هدفها معالجة الأمور الشاذة تاريخياً أو الناشئة حديثاً، وتكون فلسفة المقايضة التي تستند إليها، هي فلسفة التعامل بالمثل· قد يسمح الإبداع حقاً بأن ينظر المفاوضون في المستقبل إلى مثل هذه الخط على أنه نوعان، خط رئيس ومتواصل، وسلسلة من خطوط التحديد الثانوية المبعثرة· إضافة إلى ذلك، ومع أنه يمكن النظر إلى هذا الخط، على أنه خط حدود يعين مكان التقاء حدين إقليميين، فإنه ينبغي ألا ينظر إليه على أنه أكثر من خط غير مرئي أو "وهمي"ويمكن الاحتفاظ بأعلى درجة من التداخل فيما يتعلق بالوظائف البلدياتيه أو التجارية ·

نلاحظ في ذلك كله، أن هناك نقطة منطقية يمكن أن ننطلق منها لإجراء أية تعديلات حدودية (موقع مكاني) أو تعريفات حدودية (دور وظيفي) تدرج في سياق التسوية· ففي الحالة الأولى، يملي هذا المنطق ضرورة أن يقرر كل طرف حجم منطقته التي يعتبرها جزءاً من المدينة، وبالتالي فإن التركيز في مسألة الحدود، يجب أن

يكون منصباً على خط الحدود الخارجي، أو على الشكل الإجمالي وطبيعة المدينة. أما في الحالة الثانية، فإن مسألة الحدود (الوظيفية والمكانية )، ستكون متركزة بطبيعة الحال على موقع وطبيعة خط الحدود الدولي المار في وسط المدينة، والذي يفصل بين الدولتين المنفصلتين. وكما أنه توجد نقطة انطلاق منطقية لمعالجة مسألة الحدود على النحو المبين، فإنه على العكس من ذلك سوف تكون هنالك فظاظة منطقية في محاولة معالجة مسائل الحدود، كل منها على غير الأساس الملائم لها منطقياً .

يمكن النظر إلى النموذجين "النظريين "اللذين تحدثت عنهما، على أنهما مجسدين متطرفين يقعان على طرفي نقيض في الطيف نفسه. ولقد أشرت في تحديدي لهما على كل حال إلى الطرق والوسائل التي يمكن العمل بها على أي منهما، من خلال إدخال تعديلات مختلفة، أو تغييرات، بحيث يمكن جعل النموذج كله يتطور منتقلاً نحو الجهة المعاكسة من الطيف. صحيح أنه يمكن القول على ضوء الحاجات والحساسيات المرتبطة بالقدس، بأن النموذج (الكامل) هو ذلك الذي يكون من الناحية العملية وفي نهاية المطاف نسخة مختلطة من النموذجين. يمكن أن يكون في هذا النموذج الثالث خط سيادة رئيس ذو مسامات (أو منافذ)، غير مرئي إلى درجة تكفي من جهة بالسماح بالحد الأقصى من المشاركة والدمج، ولكنه من جهة أخرى،

متجسد بما فيه الكفاية ليسمح بالدرجة المطلوبة من الفصل. قد يكون هذا الخط متواصلاً بما يكفي للمحافظة على الإلتزام بالخط الأخضر التاريخي، ولكنه مجزأ وغير مترابط بما يكفي للسماح بوجود مواقع سيادة غير مرتبطة ببعضها ومبعثرة. بهذه الطريقة، يمكن الحفاظ على المساواة في حقوق السيادة على اعتبار أنها مبدأ رئيس، إلا أن الخلط الصحيح ما بين الدمج والمشاركة، والفصل والتقاسم سيؤدي إلى الإستفادة القصوى من الفوائد العائدة على المجتمعين من خلال تطبيق هذه الحقوق .

تجدر الإشارة في كل الأحوال إلى أن طبيعة مثل هذا الخط ستكون انعكاساً لطبيعة الخط الحدودي الكلي بين إسرائيل وفلسطين، طالما ظلت هنالك حكومتان منفصلتان. أما إذا كانت الحدود الإقليمية مسامية ومتداخلة بالكامل، فإن ذلك يجعل من محاولة وضع ملامح خاصة في خط القدس حشوا زائداً عن الحاجة.

.فإذا ما أردنا الآن ترجمة ما قلناه إلى واقع عملي، فما يعنيه القول السابق هو أنه يمكن جعل السيادة الفلسطينية على القدس الشرقية، أو السيادة الإسرائيلية على القدس الغربية من الناحية العملية منسجمة مع استمرار وجود مدينة موحدة، ومع وجود إدارة بلدية موسعة، لإدارة قطاعات مثل المجاري أو الإطفائية، أو إنارة الشوارع، أو المرافق السياحية، أو التحريج، أو الصحة العامة، وهي قطاعات لا

يقتصر التمتع بها والاستفادة منها، على جماعة معينة دون غيرها، بل أن استفادة جزء من المواطنين من هذه الخدمات إنما تدل على الإمكانية المتوفرة أمام المواطنين الآخرين للاستفادة منها أيضا، هذا، إضافة إلى أن أداءها لا يتأثر أو يختلف باختلاف حضارة من يستعملها. وأما بالنسبة لتلك المسائل من جهة أخرى التي تتأثر بالثقافة والسياسة والدين، فيمكن أن تدار من جانب إدارتين بلديتين منفصلتين، وأما بعد ذلك، فإنه يمكن تصور أشكال مختلفة من التعاون، وإمكانيات مختلفة من التمثيل والمشاركة. يمكن أن تكون المدينة مقراً لعاصمتين، ولنظامي حكم، ويمكن في الوقت نفسه أن يكون لها محكمة قانون واحدة يشرف عليها جسم قضائي يتعين أعضاؤه بالتوالي، من الدولتين ويستمد إطاره القانوني من النظامين القانونيين في كلتا الدولتين بعد إجراء التعديلات الملائمة، بحيث يعالج الوضع المتميز والمعاملات المتميزة لسكان المدينة من إسرائيليين وفلسطينيين. ستعالج مثل هذه الصيغة من ناحية عملية، وتوازن أموراً تظل بدونها شاذة ومتضاربة. من ذلك مثلاً، وجود مقبرة يهودية في منطقة الولاية الفلسطينية في القسم الشرقي، ومقبرة إسلامية في منطقة الولاية الإسرائيلية في القسم الغربي، وكذلك منطقة أبو طور وصور باهر المقسمتين، أو وجود جيب ناء يعتبر ذا أهمية دينية لهذا الطرف أو ذاك. ليس من المستحيل فعليا لا منطقياً ولا مادياً ولا سياسياً، وضع صيغة يمكنها أن تعالج "متطلبات معتدلة معقولة" لدى الجانبين، إن أية

صيغة كهذه باعتبارها شكلاً متقدماً من هذا الخليط المتميز من الفصل والدمج، قد تكون فعلاً نموذجاً جذاباً لمجمل العلاقة بين الدولتين، ينبغي أن تتذكر على أية حال أنه بمقدار جعل الخط الفاصل غير مرئي وغير ذي أهمية اقتصادية مع المحافظة في الوقت نفسه على خط مرئي وذي أهمية اقتصادية بين الدولتين، فإن خط الحدود الخارجي للعاصمة الذي يعطي المدينة وضعها الخاص سيصبح أكثر تعزيزاً وتجسيداً ٠

إحدى المشاكل الكبرى التي سيكون من الواجب مواجهتها في هذا السياق، هي المشكلة الديموغرافية (السكانية) وبخاصة المستوطنين اليهود، الذين انتقلوا للإقامة في ضواحي القدس عبر الخط الأخضر٠ وأود هنا أن أؤكد أنني لست راضياً عن فكرة شرعنة قيام إسرائيل عن طريق فرض الأمر الواقع de facto بتغيير الوضع الديموغرافي القائم status quo في القسم الشرقي من المدينة، وبالتالي فإنه لا يبدو مستساغاً لي استيعاب مثل هؤلاء المستوطنين ضمن منطقة السيادة الفلسطينية ولا أيضاً ضم مثل هذه الأحياء إلى منطقة السيادة الإسرائيلية٠ ومع ذلك، فإنني قد ألمحت إلى إمكانية إجراء بعض التعديلات على الأقل على خطوط الحدود٠ ومن البديهي أن سماح هذه الحدود بحرية الحركة لرأس المال والبضائع والأشخاص، سيجعل من الممكن أن يتحرك السكان بحرية بغض النظر عن جنسياتهم أو أماكن إقامتهم٠ إن

العناصر الأساسية للوصول إلى تسوية في هذا الموضوع واضحة، بالتالي إلا أنه يجب معالجة هذه التسوية بروح التكافؤ والفائدة المشتركة نفسها التي ينبغي أن تعالج بها أيضاً المواضيع الأخرى، إنني على ثقة بأن مفاوضي المستقبل لن يكونوا بحاجة إلى اقتراحات ممكنة في هذا المجال ·

مهما كان الأمر، فلربما ينقضي زمن طويل قبل أن يتفق الطرفان على المستوى المناسب من الإختلاط والفصل، أما الناحية الأخرى التي ينبغي أن يعالجها الجانبان فهي مسألة الشخصية العالمية للقدس·

يمكن الحفاظ على الشخصية العالمية (والدينية) للقدس، من خلال إعلان المدينة منطق خالية من العنف، منزوعة السلاح ومقدسة، يسمح بالدخول إليها لكل الحجاج والزوار في كل وقت، وتتمتع فيها الكنائس الأجنبية بممتلكاتها ومؤمنيها بحصانة دينية كاملة، ويتم فيها تعزيز ودعم التشكيلة الثرة من الأحياء الدينية المختلفة، ويكون بإمكان المجتمع الدولي من خلال الأمم المتحدة، أن يتمتع بتمثيل فيها، وبوجود رمزي موحد، قد يكون ذلك على جبل المكبر دلالة على اليقظة الشديدة التي تتم بها حماية السلام في المدينة، ليس من الصعب أن تتصور أيضاً إعطاء دور شرف لشخصية عامة دولية متميزة يتم تعيينها ممثلة لهيئة الأمم، ويتم فيها أيضا لقباً

خاصا يحمل اسم القدس، إن إجراء كهذا سيعكس إدراك أهل القدس للشخصية العالمية لمدينتهم. إضافة إلى ذلك، فإنه يصعب على أن أرى أية قيمة لبرنامج تدويل كمثل ذلك الذي طرحه قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة .

أما ملاحظتي الأخيرة، فينبغي أن تكون خاصة بالجهود الهائلة التي لا بد أن يبذلها كل المعنيين، حالما يتم التوصل إلى تسوية متفق عليها، وذلك لرفع مستوى البنية التحتية في القدس الفلسطينية إلى المستوى الذي تتمتع به القدس الإسرائيلية، لا بد أن تشمل هذه الجهود برنامجا مكثفا من الترميمات في البلدة القديمة وفي الأحياء العربية المجاورة المختلفة، إلى جانب تنمية المراكز التجارية بما يتناسب ومتطلبات البيئة، كما أنه من الواجب القيام أيضا بالبناء السكني وفق خطة تأخذ متطلبات البيئة بالاعتبار، هناك اعتبارات عديدة تدعو إلى وضع مثل هذا البرنامج، ليس أقلها أهمية تلك الحاجة إلى إيجاد تماثل بين الأحياء المختلفة مما ييسر الإنسجام الإنساني في المدينة. إن عملية إعادة البناء هذه لا يمكن أن تكون ضخمة وفق المعايير الدولية، إذا ما تحدثنا من زاوية مالية، أما قيمتها الإنسانية والسياسية فإنها ستكون بلا شك بغير حدود .

على الجبهة الإنسانية أيضاً، فإني أعتقد أنه لا بد أن يحين الوقت وأن تبذل الجهود لإنشاء معهد أعلى متعدد الديانات لدراسة حضارات المنطقة، بحيث يكون باستطاعة الباحثين من قوميات وأديان مختلفة، ليس فقط العمل سوياً على دراسة التاريخ المتنوع لفلسطين وحضارة فلسطين وشعوبها وآثارها، بل يكون بإمكانهم أيضاً أن ينخرطوا في دراسة وفهم الديانة الإبراهيمية التي هي منبع اليهودية والمسيحية والإسلام ·

كان علي أن أذكر ذلك، لأنني أعتقد أنه لا يمكن ضمان سلام القدس مستقبلاً بغير جهود حثيثة في مجال إعادة البناء التاريخي والديني، ترافق أية تسوية سياسية أو جغرافية يتم التوصل اليها، وحيث أن الديانات الثلاثة المتنافسة تستمد جذورها من الرسالة الخالدة نفسها، فإن هذه الحقيقة تهم إما في تأزيم الوضع غير الصحي المشحون بالتنافر والاحتكاك، وهو الوضع القائم أصلاً وإما في تسهيل التلاقي والإنسجام· إذا ما أخذنا بالاعتبار بشكل خاص الطريقة المتميزة التي ينظر بها اتباع هذه الديانات إلى القدس، سواء فيما يتعلق بدورها في الماضي أو وضعها مستقبلا، فإنه من الواجب على الأطراف المتنازعة أن تتبع نهجاً من التقارب والانسجام، يتطلب ذلك إعادة تقييم للتصورات السائدة كما قد يدعو ذلك أيضا إلى القيام بترميم

مشترك لأهمية المواقع والأحداث، ولعله من السخرية بمكان بل ومن المحزن أيضاً أن تصبح رسالة الحق العالمية التي نشرها أب مشترك، حجر عثرة في طريق الوئام والتلاقي بين أولئك الذي يدعون بأنهم أحفاده وأتباعه ٠

أختتم بالقول أنني قدمت في المحصلة النهائية تصوراتي الشخصية حول الموضوع، ويرجع تمسكي بها إلى سببين يكملان بعضهما بعضاً وهما:

أولاً: إنني أعتقد أنه بدون هذه التصورات لن يكون من الممكن التوصل إلى تسوية حول القدس ٠

ثانياً: إنه بدون تسوية مسألة القدس، فإنه لن يكون بالإمكان التوصل إلى تسوية دائمة في المنطقة، أما إن أخذت هذه التصورات بعين الاعتبار، فيصبح التوصل إلى تسوية والى إحلال سلام حقيقي أمراً ممكنا

*　　*　　*　　*

# القدس في الإسلام

د. سري نسيبه

استناداً بالأساس إلى الحديث الشريف، فإنه طالما يترامى إلى مسامع المرء القول بأن القدس هي المكان الثالث قداسة في الإسلام، والإشارة هنا هي على وجه الخصوص إلى الحرم الشريف، قياسا بمسجدي الكعبة والمدينة. فقد روي عن الرسول الكريم قوله "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد، المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا "وفي روايات أخرى من الحديث، ورد مسجد المدينة في مستهل الجملة.

ولكن وبالرغم من هذه الإشارة فإنه يحق للمرء التساؤل، هل الحرم الشريف مع ذلك هو حقاً ثالث الأماكن المقدسة في الإسلام ؟؟؟ وبأي معنى يكون ذلك؟؟ لو استندنا فقط إلى ما اقتبس من الحديث أعلاه لإسناد هذا التفسير، إذن لقال البعض بأن التسلسل اللغوي وحده لا يبرر القول بوجود أولويات أو درجات من الأهمية، فلقد كان في الإمكان أن يورد الحديث مثل هذه الأولويات بشكل واضح ومباشر، ولكنه لم يفعل ذلك، أما إن نظرنا إلى هذا الحديث الشريف بالشكل الذي يرد فيه، فإن بإمكان المرء أن يستدل منه بنفس القدر من السهولة واليسر، إن هذه

المساجد الثلاث هي الأكثر أهمية، كأن واحداً منها فقط هو الأكثر أهمية، ويتبعه في ذلك اثنان آخران. إن عدم تعليق أهمية كبيرة على التسلسل اللغوي في هذا الحديث الشريف، إنما يقلل حقيقة من قيمة الزعم بأن للترتيب الوارد في الرواية أهمية خاصة.

ومع ذلك، فإن الفهم الإسلامي الدارج يضع الحرم بالفعل في المكان المقدس الثالث، بعد مكة والمدينة، فما تفسير ذلك إن لم يكن ما هو وارد في الحديث الشريف ؟ ؟ ؟ قد تكون الإجابة الجاهزة على ذلك، طبعاً هي الحج، وبالتالي القبلة أو الوجهة التي يتوجهها المصلي، فإن حج المسلم فهو إلى مكة، ووجهة المسلمين عند الصلاة فهي مكة أيضا، ومن وجهة النظر التاريخية كذلك، فإن أصول الإسلام تتجذر في ضواحي مكة والمدينة، وكما نعلم، فإن الرسول لم يتنقل كثيراً فيما وراء ذلك الحوض الجغرافي، يبدو أن كل هذه العوامل إنما تدعم الإعتقاد بأن محور مكة / المدينة هو ذو أهمية دينية تفوق أهمية القدس الدينية، وذلك على الرغم من الحقيقة المقر بها، بأن القدس هي الوجهة التي توجه إليها النبي للصلاة في الستة عشر شهراً الأول من الدعوة، أو الحقيقة الأخرى بأن قبة الصخرة (أو صخرة الآله كما تسمى في الأدبيات أحياناً) كانت كما تشير بعض الأدبيات لمدة من الزمن خلال العصر الأموي هي محج المسلمين، وثم الحقيقة الأخرى أن كثيراً من المسلمين لا يعتبرون حجهم إلى مكة مكتملاً دون زيارة بيت المقدس .

ومع ذلك، فإن من قبيل المفارقة أن تعقد الحقائق الأخيرة الأمر بدل أن تقدم له تفسيراً. فإذا ما سئل المسلم لماذا كان التوجه إلى القدس أصلا، فإنه قدي يجيب تحت إلحاح السائل بأن لذلك علاقة بالإسراء والمعراج. فقد أسري بالنبي (عليه الصلاة والسلام) بمعجزة من مكة إلى القدس، ومن هناك، من صخرة الآله نفسها تحديدا، عرج إلى السماء، إلى جانب ذلك فإن النبي في هذه الرحلة تلقي الشعائر الإسلامية الخاصة بالعبادة والتقى بأنبياء آخرين وأممهم في الصلاة وتبارك بالرؤية الإلهية.

لكن هذه الحقائق إنما تعتم على الموضوع، أو أنها تبقيه معتماً، لأنها تجيب بعد على السؤال: لم القدس أساسا ؟ ؟ لماذا كان على محمد أن يتحول إلى القدس للصلاة بالأساس ؟ ؟ ولماذا كانت القدس الخيار الأول ؟ولماذا كان ضروريا أن يتم صعوده إلى السماء، من الصخرة المقدسة في القدس بدلا من مكة، أو من عرفات مثلا ؟ ؟ بكلمات أخرى، لماذا كان يتوجب أن يتم الاتصال الإلهي صعوداً من مكان آخر غير المكان الذي تم فيه الاتصال الإلهي هبوطاً أي من خلال نزول الوحي بواسطة الملاك جبرائيل ؟.

فضلا عن ذلك، ما هي الحكمة في أن لا تتم الرؤية الإلهية ولا يتم الاتصال ببقية الأنبياء، إلا في القدس بدل مكة، التي كان اتصال الله بنبيه فيها، عن طريق وسيط هو الملاك جبرائيل ؟

هذه، فيما أعتقد، مجموعة أسئلة تشكل تحدياً للمسلم وتحدث عنده إرباكا ولو بشكل أولي على الأقل. إذ كيف يمكن أن تكون مكة ذات أهمية رمزية أكبر، أو أن تكون أكثر قداسة على ضوء هذه الحقائق ؟؟ فبالمنطق البحت غير المتحيز، قد تبدو القدس من بين الموقعين على ضوء هذه الحقائق، هي البوابة الرسمية حقاً نحوه الله، بل قد يبدو من هذه الوقائع وكأن المقصود هو أن بإمكان الله تعالى الوصول إلى الإنسان أينما كان على الأرض غير أن طريق الإنسان نحو الله ينبغي أن تمر عبر القدس .

قد يقال عند هذا المنعطف، أنه رغما عن الرمزية الدينية أو حتى الدين نفسه، فإن الممارسات الإسلامية، ببساطة تعتبر القدس، أقل قداسة (أو الثالثة قداسة). فبالرغم من كل ما قيل حتى الآن فلقد طلب الرسول من المسلمين وبشكل قطعي، أن يتوجهوا إلى مكة للصلاة، وبهذا فإنه يكون قد أنزل القدس إلى مركز ثانوي في ديانته، فضلاً عن ذلك، فإن علينا ألا ننسى حدثاً مهما آخر ذكره القرآن الكريم،

ألا وهو أن الكعبة هي التي بنى حجارتها الأولى إبراهيم نفسه لا غيره، وهو أب إسماعيل واسحق، والمسلم الحق الأول في التاريخ كما ينص القرآن ٠

دعونا نتوقف هنا للحظة، إذ تستند الأهمية الرمزية للكعبة وفق هذه الرواية إلى عنصرين جوهريين من العقيدة، وهما أن إبراهيم نفسه كان الأول الذي بنى الكعبة، وأن إبراهيم كان مسلماً حنيفا وليس شيئا آخر٠ أما بالنسبة للعنصر الأول فقد يبدو انه يرتبط بالعادة الوثنية التي كانت لا تزال سائدة في ذلك الوقت، ألا وهي الحجيج إلى الكعبة وتقديم فروض الاحترام٠ كان واضحاً أن هذا الحج الوثني الذي كان متبعاً قبل الإسلام، والذي كان يعتبر مهما باعتباره تقليداً اجتماعياً – دينيا، فضلا عن كونه ممارسة للتجارة والعمل أيضا، كان بحاجة إلى ترجمة توحيدية إذا ما أريد له أن يستمر، ونعلم أنه استمر، إن اللجوء إلى إبراهيم في هذا السياق، باعتباره أب العقيدة التوحيدية، يبدو إذاً منطقيا تماما، بغض النظر عن حقائق المسألة٠ أما بخصوص العنصر الآخر من العقيدة، وهو أن إبراهيم كان مسلماً حنيفا – وأنه كان حقا المسلم الأول – فمن الواضح أن هناك شيئا ما في هذا الجزم، خاصة إذا ما أضفناه إلى الجزم الأول، يعيدنا إلى القدس ويضعنا مباشرة أمام موضوعة نظرة الإسلام إلى نفسه والى اليهودية ٠

هنالك بالتأكيد شيء من الغموض يحيط بإبراهيم، وخاصة فيما يتعلق بابنيه إسماعيل واسحق، إذ أن السليل الموحد، والوارث لإبراهيم بموجب الرواية التوراتية إنما هو اسحق والأسباط الإثني عشر من خلاله في نهاية المطاف. أما إسماعيل من جهة أخرى، وهو ابن خليله مصرية سمراء، فإنما هو كالخروف الأسمر (الشاذ - المترجم). صحيح أنه سيتكاثر ويصبح أمة عظيمة، ولكنه ليس أثيرا من زاوية وراثية كما هو واضح من القصة التوراتية، رغم أنه الابن الأكبر، كما أن بقاء بذرة التوحيد، لن يكون من خلاله، والآن فلننظر إلى الغموض، فبينما يحترم الإسلام جميع الأنبياء اليهود المتحدرين من اسحق، ويضعهم على قدم المساواة جميعهم مع محمد، فإننا نجد أن المفسرين المسلمين يميلون إلى الإدعاء بأن إسماعيل هو الذي كان هدفا لمحاولة التضحية التي قام بها أبوه. وأنه بالتالي هو الذي كان الوسيلة التي تلقى بواسطتها إبراهيم نعمة الله. إن محاولة التضحية نفسها، هي أمر محوري في التفكير الإسلامي، حيث أنها تمثل خضوع الإنسان الكامل لله، وذلك بتعبير خالص عن جوهر الإسلام. قد يبدو غريبا لذلك وربما مهما أيضا بشكل خاص، عدم وجود سوى إشارة واحدة فقط إلى ذلك في القرآن الكريم، وهي إشارة رغم أنها ترجح في سياقها أن إسماعيل كان الابن المقصود في محاولة التضحية، إلا أنها تترك الباب مفتوحا للشك بأن اسحق هو ربما الذي كان مقصودا. إن احتمال التفسيرين في الآية الكريمة، وهو

احتمال ربما كان مقصودا أساسا يبيح لنا بل قد يحثنا على أن نتجاوز مسألة هوية الابن (وهي مسألة خصوصية عرقية) إلى أن نقف على مسألة هي الأكثر أهمية في القصة، بل وتمثل جوهر القصة حقا، وتمثل جوهر الإسلام تحديدا وهي إذعان الأب والابن أي الإنسان عموما لإرادة الله. (وهذه مسألة كلية وإنسانية). ففي هذه الآية القرآنية الجميلة، يسلم الأب والابن أمرهما إلى الله "تلاحظ هنا اللفظة المشتقة من الإسلام"وبالتالي فانهما يتلقيان نعمة الله .

من جهة أخرى، لا يبدو بأن هناك أهمية رمزية للتركيز على إسماعيل بدل اسحق في السياق، خاصة على ضوء الإجلال المعلن لإسحق والأنبياء المنحدرين من صلبه، إلا إذا كان علينا أن نفترض بأنه تم تثبيت إسماعيل جدا وراثيا للعرب القاطنين في مكة وضواحيها في ذلك الوقت، (إذ من الواضح أنه ليس الجد الوراثي للعرب جميعهم). في مثل هذه الحالة، قد تكون الأهمية مرتبطة بحركة بعث توحيدية، ما كان لها أن تتم في ذلك الوقت، إذا ما أخذنا بالاعتبار كيف تطورت اليهودية وكيف كانت تتم ممارستها في تلك الأيام، إلا خارج الدائرة اليهودية المغلقة عرقياً (genetically). على ضوء هذه الفرضية، تكون الأهمية موضع الحديث لها علاقة بإيجاد رابط بشري يضاف إلى الرابط الروحي الذي تم تثبيته وذلك بين الرسالتين

الإبراهيمية والمحمدية، أو بين مجموعة "مغلقة عرقيا genetically"والجنس الإنساني الأوسع ولكن مهما كان الأمر فإنه لا يبقى ثمة شك في حق الإسلام في سيدنا إبراهيم.

على ضوء دور إبراهيم المحوري، والأهمية الدينية للتضحية التي حاول القيام بها، ماذا يقول الإسلام عن المكان الذي جرت فيه هذه المحاولة، وعن التدخل الإلهي ؟؟ بكلمات أخرى، هل ينظر الإسلام إلى صخرة القدس المقدسة على أنها هي المكان الذي جرى فيه ذلك ؟؟

في محاولة الإجابة على هذا السؤال يجد المرء نفسه أمام أسئلة لا تتعلق فقط بمكان أو موقع، بل أهم من ذلك، فإنها تتعلق بأسس الديانة الإسلامية نفسها. وإذا ما عدنا إلى الأسئلة التي وصفناها سابقا بأنها محيرة وتشكل تحديا، فإن بإمكاننا الآن أن نضع سؤالنا الرئيس في هذا السياق بالطريقة التالية: هل جرى نقل محمد (عليه الصلاة والسلام) إلى الصخرة المشرفة، ومن هناك إلى السماء، اعترافا بالقداسة السابقة لهذه الصخرة، التي أسبغت عليها من خلال محاولة التضحية والتدخل الإلهي؟؟ أم أن الإسلام يسبغ القداسة على الصخرة نتيجة للمعجزة الليلية ؟؟ أيهما له الصدارة؟؟ إذا ما صدق المرء التفسيرات الإسلامية المتأخرة، والاعتقادات السائدة في يومنا هذا، فان ذلك سيقود المرء إلى الاستنتاج بأنه لا بد أن تكون الرحلة

الليلية أو حدثا آخراً ما غير محدد سبقها، هو الذي أسبغ القداسة على الصخرة، ذلك ببساطة لأن محاولة إبراهيم تقديم التضحية قد جرت على الأغلب في ضواحي مكة. إلا أنه إذا عاد المرء إلى التفسيرات والميول الإسلامية الأولى. بما في ذلك عندما كانت القدس هي القبلة، فان ذلك يقود إلى الاعتقاد بأنه محمداً (عليه الصلاة والسلام) نظر إلى القدس، كما نظر إلى إبراهيم والى التوحيد الذي اعتنقه الأنبياء اليهود الأوائل، على أنهم يشكلون المصدر المادي والروحي للرسالة الإسلامية. وبالفعل، فإن القرآن الكريم حاسم في الطريقة التي يؤكد بها تواصل الإسلام مع اليهودية المبكرة - ليس باعتبار الإسلام عقيدة جديدة أو ثالثة، ولكن باعتباره رسالة توحيدية عالمية، كان سيدنا إبراهيم أول من بدأ التعبير أو الكشف عنها .

دعونا نتوقف هنا للحظة، أمام سورة الإسراء، التي يقال بأنها تتعلق بالرحلة الليلية ومعجزة صعود محمد، فالسورة كما نعرفها تبدأ بالإشارة المباشرة المعروفة جيدا إلى تلك الحادثة. ومع ذلك، فبدل أن تستمر كما يتوقع المرء مع شرح أكثر تفصيلا للأهمية الروحية لتلك المعجزة، وهو الأمر الذي قد يتوقعه ويعتبره القارئ أمراً منطقيا في السياق، فإن القرآن ينتقل مباشرة إلى بني إسرائيل بدءا بموسى تحديدا، وهو الذي كان متلقيا "لكتاب الله".

لا يستطيع المرء هنا إلا أن يلاحظ في هذا السياق، التسلسل المباشر بين هذه الرحلة من جهة وبين الوجود الإسرائيلي في القدس، ومعضلة بني إسرائيل الناتجة عن ذلك من جهة أخرى. حتى لو كان هذا التسلسل لغويا فقط، إلا انه مع ذلك يقوي الانطباع العام الذي يقدمه القرآن بأن الجذور الدينية للرسالة المحمدية، إنما تعود إلى الأنبياء اليهود وبأن الرحلة بمعنى ما، إنما هي تأكيد لهذا التجذر، بل ومن المذهل أن القرآن إذ يطرح معضلة بني إسرائيل (وتتلخص فيما إذا سوف يعصون الله ويتمردون على نعمته)، فإنه ينص على أنه في الخراب الثاني الموعود، فإن الغزاة سيدخلون المسجد كما فعلوا من قبل، وبأنهم سيدمرون ذلك المبنى .

إن استعمال مصطلح "مسجد "(بدلا من هيكل مثلاً) في هذا السياق، وهو الذي يعتبر خاصا ببيت العبادة عند المسلمين، إنما يذكر باستخدام المصطلح نفسه في الآية الأولى من السورة نفسها، والتي تنص على أنه أسرى بالنبي محمد من المسجد الحرام في مكة إلى المسجد الأقصى في القدس، وهي رحلة جرت في طبيعة الأحوال قبل بناء المسجد الأقصى الذي نعرفه اليوم. وبالتالي فإنه من الطبيعي أن يفرض السؤال التالي نفسه هنا، وهو هل بيت العبادة اليهودي (الهيكل) الذي كان قائماً في القدس إلى حين تدميره، بسبب انحراف بني إسرائيل عن تعاليم الرسالة الإسلامية الكونية، هو الذي اعتبره محمد (عليه الصلاة والسلام) مسجداً إسلاميا

بالطريقة نفسها أو على نفس الأسس التي اعتبر فيها سيدنا إبراهيم المسلم الأول ؟؟ وهل تنبع أهمية الإسراء إلى القدس من هذا التصور ؟؟ وهل أقيم الحرم في القدس على بقعة الهيكل نفسها (على افتراض صحة ذلك وبغض النظر عن الحساسيات السياسية الحالية المرتبطة بالموضوع)، تأكيدا لوراثة الإسلام الشرعية للرسالة الإبراهيمية والإرث الإبراهيمي ؟؟ بل وتجسيداً للعقيدة بأن سيدنا محمد (عليه الصلاة والسلام) وهو الوارث الشرعي والمسيح المنتظر هو الذي سوف يشرع بإعادة بناء مسجد الله، بعد أن أزال شوائب التاريخ وتشويهاته من العقيدة الإسلامية الموحدة التي كشف عنها الأنبياء من قبل ؟؟

دعوني أنتقل الآن إلى الخليفة عمر، والى دخوله القدس سنة ١٥ للهجرة. تروي الروايات الأولى على أنه عند وصوله إلى القدس، قام عمر باستدعاء مستشار وهو حاخام يهودي كان قد اسلم ليساعده على إيجاد مكان الصخرة، وتحديد الموقع المناسب لبناء مسجد العبادة الإسلامي، والإعتماد تحديدا على هذا الدليل، إنما يوحي بأن الفاروق كان يفترض أن دليله سوف يقوده إلى المنطقة التي كان الهيكل مقاماً عليها. نعلم أيضا، بأن عمر بعد أن حدد مكان الصخرة ونظفها، أقام الصلاة، حقا، لا يبدو بأن عمر أحس بوخز الضمير او بالتردد، بخصوص الصلاة في مكان

يفترض بأنه كان يعلم أو يعتقد بأنه موقع الهيكل اليهودي، كما أحس في كنيسة القيامة، حيث استضافة البطريرك صفرونيوس. على العكس من ذلك، فقد صلى عمر، وأصدر تعليماته ببناء المسجد. وفي وقت لاحق أقيم مسجد قبة الصخرة كمسجد هو مركز للعبادة قائم بذاته، أي أنه صمم هندسيا كمركز للصلاة وليس كبناء يتوجه الكعبة باعتباره القبلة .

أما الأحداث التي تلت تلك الأشهر والسنوات الأولى، فلقد أصبحت جزءا من التاريخ، ومنها ما يقال بأن الأمويين في مرحلة ما، وكانت تحدوهم منافسة سياسة شديدة ضد العباسيين، جعلوا من قبة الصخرة مكاناً تشد إليه رحال الحج، ليس مهما لنا إن فعلوا ذلك ومتى فعلوا ذلك، فالسؤال بالنسبة لنا على كل حال يظل قائما، وهو تحديدا حول ماهية ذلك السر الذي يكتنف الصخرة المقدسة، والذي جعل منها القبلة الأولى .

في مرحلة لاحقة، تحولت أنظار المسلمين تدريجيا إلى مكة، ولعل الأهم من ذلك هو أنهم تحولوا أيضا عن التركة الروحية اليهودية والمسيحية. وإذا ما تفحص المرء في يومنا هذا المعتقدات التوحيدية، فانه يقع على ثلاثة أديان توحيدية مختلفة ومتباينة، الإسلام أحدها حتى المسلمين المحدثين يميلون إلى فهم الأمور بهذه الطريقة،

وهي أن دينهم هو أحد أديان ثلاثة،وهو الدين الأخير ،وبالتالي فانه الدين الذي تحل أحكامه محل أحكام الديانتين الآخرين، أما في نظر محمد وكما أوحى إليه، فانه لم يكن هناك أبدا تميز كهذا، فالرسالة التوحيدية واحدة وليست ثلاثة، والأنبياء لهم رب واحد والدين واحد، وهذا الدين هو الإسلام منذ البدء، لا منذ زمن محمد فقط، وكان دور محمد ببساطة هو دور إحياء وبعث وتصحيح للتقليد المتواصل نفسه.

إذا كانت قراءتي محمدا صحيحة، فإنه يسهل على أن افهم لماذا حدثت الرحلة الليلية عبر الصخرة المشرفة. ولماذا كانت هذه هي القبلة خلال الأشهر الستة عشر الأولى من رسالة محمد، ولماذا أمر عمر ببناء مسجد على موقع الهيكل المهدوم، إن المسجد في هذه القراءة كان نفسه إحياء للهيكل اليهودي القديم، وتعبيرا عن الوحدة مع الرسالة الإبراهيمية، وتجسيدا للهيكل الجديد المأمول الذي جرى التنبؤ به. لماذا يكون ذلك غريبا ؟؟ ومحمد نفسه كما ذكر القرآن هو النبي بعينه الذي توقعته ووصفته الأدبيات اليهودية (الحقيقة). إني أدرك طبعاً، الحساسية السياسية لملاحظاتي، خاصة في سياق يحس فيه المسلمون بأنهم عرضة لتهديد التعصب اليهودي، حيث يعتبر هذا التعصب مسجد قبة الصخرة "مغتصباً" للموقع اليهودي المقدس بدل أن يعتبره احتفالا شرعيا به.

ليكن ما يكون، فانه لا يمكن التقليل من مركزية القدس بالنسبة للإسلام، ولا يمكن إنكارها تحت أي اعتبار. صحيح أنه إذا نظر المرء إلى الإسلام على أنه أحد ثلاث ديانات منفصلة، وإلى محمد على أنه نبي الإسلام فقط، فانه لا بد أن يرى أو يدرك بأن هناك لدى اليهود والمسيحيين ارتباطاً عاطفياً بالقدس يحاذي أو يفوق بكثير ارتباط الإسلام بها. وإذا ما تم ربط هيكل داوود باليهود فقط باعتبار تلك ديانة مستقلة، وإذا ما ربطت كنيسة القيامة ودرب الآلام بالمسيحية فقط، وإذا لم يتفاعل كل مسلم مع هذه الأحداث وهؤلاء الأنبياء كما يرشده القرآن الكريم إلى أن يفعل فلن يبقى على المرء بوصفه مسلما إلا أن ينظر إلى تاريخه في القدس على أنه يبدأ فقط منذ تلك الرحلة الليلية، ولكن إذا ما امتلك المرء النظرة العالمية للإسلام كما يعرض الإسلام نفسه حقا، فان وعي الإنسان بالقدس الإسلامية وارتباطه بها سوف تكون له جذوره السابقة لتلك الرحلة الليلية وسابقاً لسنة ١٥ هجرية بوقت طويل.

قبل أن أختتم ملاحظاتي، أود أن أتحول إلى منظور سياسي فأقول، إن قداسة مدينة ما في الإسلام، تقلل بدل أن تزيد من الوضع السياسي والدور السياسي لتلك المدينة. ولدينا في مكة والرياض مثل حي لذلك. لقد أحسست دائما أن تقليد دخول عمر القدس، يعزز أيضاً هذا المنظور: إن تبادل عمر ركوب الجمل مع خادمه،

وهما يقومان برحلتهما الطويلة نحو القدس، إنما يعلمنا تواضع الإنسان أمام الله وأمام مدينته، إننا بهذه القصة نتعلم أن كل الناس سواسية أمام الله، حتى أن أعلى المراكز الدينية أو السياسية لا تعطي أية امتيازات لأحدهم على الآخر أمام الله. وعندما يجري الدخول إلى القدس فإن محدثنا لا يروي لنا قصص معارك بطولية تم خوضها، ولا عن جوائز أو غنائم تم الفوز عليها، بدل كل ذلك، يدخل عمر المدينة بسلام، راجلا كما لو أنه أراد أن يقول لنا بأنه لا يمكن لقوة بشرية أو عسكرية أن تخضع مدينة الله. وإذ تتوجه مع عمر نحو كنيسة القيامة، ثم يخرج منها مرة أخرى لإقامة الصلاة، فإننا نتعلم بأن الإسلام يتسامح مع تقاليد المذاهب المختلفة، ولا يسعى إلى المس بها، بالمطالبة أن يتم استبدالها أو توقفها. وإذ نرافقه إلى الصخرة، فنراه يزيل الأوساخ عنها بيديه وثوبه، فإننا نتعلم منه بأنه لشرفا وامتيازاً لأي شخص، أن يخدم هذا المكان المقدس أن يخدم المدينة، ولكن دون أن يحاول بأية وسيلة أن يتجرأ على فرض نفسه سيدا عليها أبدا ... هذه فيما أعتقد كانت رسالة عمر بخصوص مدينة التآمت الجنة من صخورها .

وهكذا، فإن القدس لم تعلن أبدا عاصمة للأمة الإسلامية، حتى ولا تحت حكم الأمويين، إن عاصمة أمة دنيوية هي عاصمة دنيوية، وهي عاصمة يمكن

للإنسان أن يقتحمها وأن يحكمها. إلا أن العاصمة المقدسة، هي أسمى من البشر، وهي عاصمة يكون الحكم فيها قدسيتها. وهكذا نرى، أنه عبر تاريخها في الإسلام،فإن عظماء الشخصيات المسلمة الذين ارتبطت أسماؤهم بالمدينة هم ببساطة إما محررون إن كانوا حكاماً عسكريين، مثل صلاح الدين، أو عاكفون على أبحاثهم الروحية الكبرى إن كانوا علماء كالغزالي أو ابن عربي. أما في هذه الفترة المتأخرة فإنه يبدو لسوء الحظ، بأننا جميعا أصابتنا السياسية بالعمى، كما أصبحنا عميانا بالنسبة لديننا الحقيقي. فكلنا نطالب بالمدينة، أحزابا سياسية وشعوبا، ونسخّر الديانات لتخدم أهدافنا السياسة الخاصة، وكلما تعاظم نظرنا إلى أنفسنا على أننا أبناء ديانات مختلفة، وكلما ازداد تحول التوحيد إلى تثليث، كلما أصبحت فرص المصالحة أصعب، وأصبحت القدس مصدرا للفرقة والدمار. كما أنه كلما ازدادت محاولاتنا لتملكها وفرض الهيمنة عليها، كلما خنقنا جوهرها وطبيعتها، ستكون القدس مصدرا للوحدة من جهة أخرى، وستلألأ كالجوهرة الأصيلة، إذا جعلتنا نعي وحدة إيماننا. فإذا تم استيعاب وحدة إيماننا بشكل مناسب، فإنه يمكن النظر إلى مطالبنا الخاصة بالنسبة للقدس، بوصفها عاصمتينا السياسيتين، على أنها احتفالا بهذه الوحدة، لا نقطة نزاع أناني بين قبيلتين متمحورتين حول عرقيهما .

قدمت هذه المادة في محاضرة في إيطاليا، وذلك في ندوة شاركت الجمعية الأكاديمية الفلسطينية للشؤون الدولية برعايتها ٠

*  *  *  *

# القدس من منظور مسيحي

د. برنارد سابيلا

## القدس أم الكنائس

القدس في التقليد المسيحي هي "أم الكنائس"، وقد أسبغ هذا الشرف على "القدس الأرضية" لأنها المدينة التي شهدت الأحداث المثيرة في موت المسيح وقيامته. كما أنها المدينة التي ظهرت فيها أول جماعة مسيحية يوم العنصرة. وتعززت هذه الجماعة وترسخت فيما بين سنة ٣٠-٣٢م، حيث تم تعميد ثلاثة آلاف شخص تأثروا برسالة وشهادة القديس بطرس إلى جموع السامعين[1].

فالقدس إذن، شاهدة على البداية الجديدة التي آذن بها المسيح، كما أنها أيضا النقطة التي انطلقت منها المسيحية إلى أرجاء العالم.

## القدس - مقدسة وكمثل المدائن الأخرى

القدس بالنسبة للمسيحيين المحليين هي المدينة المقدسة، ولعل حضورهم في المدينة، هو تأكيد على استمرارية البداية الجدية التي أطلقها المسيح. وبشكل التاريخ

---

[1] كما هو بالإنجليزية

الطويل والتقاليد الغنية لمسيحي القدس، صلة متواصلة "بقدس المسيح الأرضية "وجماعتها المسيحية الأولى ·

إلا أن المدينة المقدسة ليست هي العامل الوحيد الذي يلعب دوراً حاسما في التجارب التي يمر بها مسيحيو القدس· فبعد أن توسعت المدينة وانتشرت من داخل الأسوار إلى خارجها، وخاصة منذ سنة ١٩٦٧، وذلك بإقامة المستوطنات اليهودية الجديدة في ضواحيها ·وبعد أن أثرت التغيرات الإقتصادية – الإجتماعية والتكنولوجية على نمط حياة الأفراد والجماعات وتوجهاتهم، فإن الحياة في القدس أصبحت شبيهة بالحياة في أية مدينة أخرى في مثل حجمها، إذ يقطنها أكثر من نصف مليون إنسان، في ظل ضغوطات واجهادات مستمرة· هذه العلاقات المضطربة أثرت على الخصائص الديموغرافية والاقتصادية – الاجتماعية لمسيحي القدس ·

يقطن القدس اليوم، أحد عشر ألف مسيحي يشكلون ٧,١ في المائة من مجموع السكان الفلسطينيين العرب القاطنين في المدينة الذين يبلغ تعدادهم ١٥٦ ألفا، وينتمي هؤلاء إلى أكثر من عشر طوائف يتوزعون بالنسب التالية:

| الطائفة | عددها | نسبتها إلى مجموع المسيحيين الكلي |
|---|---|---|
| اللاتين | ٣٩٠٠ | ٣٥,٧٠ |
| الأرثوذكس | ٣٥٠٠ | ٣٢,١٠ |
| روم كاثوليك | ٥٠٠ | ٤,٦ |
| لوثريون | ٤١٠ | ٣,٨ |
| بروتستانت آخرون | ٤٤٠ | ٤ |
| سريان | ٢٥٠ | ٢,٣٠ |
| أرمن | ١٥٠٠ | ١٣,٧ |
| قبط | ٢٥٠ | ٢,٣٠ |
| أحباش | ٦٠ | -.٦ |
| مارونيون | ١٠٠ | -.٩ |
| | ١٠٩١٠ | ٪١٠٠ |

يقطن في البلدة القديمة داخل الأسوار ٥٥ في المائة من الأحد عشر ألف مسيحي فلسطيني في المدينة. ويتركز المسيحيون في الحي المسيحي (حارة النصارى) والحي الأرمني، إلى جانب بعض العائلات التي تسكن في الحي الإسلامي. وكما هي الحال مع المسلمين، فإن تجمعات السكان المسيحيين تتركز حول الأماكن المسيحية المقدسة. الحوانيت والتجارة التي تطورت تمحورت حول تقديم الخدمات للحجاج.

وأصبح أهل القدس يعرفون بمهارتهم في بعض المهن مثل صناعة الشمع، والصياغة والتحف المخصصة للحجاج والسواح. ولقد أسهمت المدارس والمستشفيات والفنادق والمؤسسات الخدماتية الأخرى التي يديرها المسيحيون في بقاء السكان وفي تحصيلهم العلمي. لقد شارك مسيحيو القدس في إدارة المدينة منذ تأسيس مجلسها البلدي الأول، واستمروا في القيام بدور مهني مهم في المدينة، ومعظم المسيحيين في المدينة خارج أسوار البلدة القديمة يقطنون في الأحياء العربية الحديثة نسبيا، مثل شعفاط وبيت حنينا على الطريق الشمالي المؤدي إلى رام الله .

## تدهور حالة مسيحيي القدس

يعتبر مسيحيو القدس محظوظين بما لديهم من كنائس ربما كانت نسبتها للشخص الواحد هي النسبة الأعلى في العالم، فهناك كنيسة واحدة لكل ١٧٧ مسيحياً في المدينة، إلا أن هذا لا يشكل مصدراً للسلوى، إذ أن تدهور عدد سكان مسيحي القدس مستمر بسبب الهجرة التي تعتبر مسؤولة عن هذا التدهور. فقد دفعت الظروف السياسية وخاصة منذ سنة ١٩٦٧، الكثير من الفلسطينيين إلى مغادرة بلادهم، والمسيحيون حساسون بشكل خاص تجاه الظروف السياسية والاقتصادية المتردية بسبب خصائصهم الاجتماعية – الاقتصادية والتعليمية، ووجود

أفراد من عائلاتهم في المهجر، ولعلنا ندرك مدى تدهور وضع المسيحيين في القدس إذا ما عرفنا أن عددهم سنة ١٩٤٤ كان ما يقارب ٢٩٣٥٠ وبكلمات أخرى، فإن عدد السكان المسيحيين في القدس اليوم لا يتجاوز ٣٧,٥ في المائة مما كان عليه قبل خمسين سنة [١]

## مخاوف الخبراء ومسؤولي الكنائس

توجد لدى مسؤولي الكنائس والخبراء مخاوف من أنه إذا لم تتخذ خطوات وقائية وعلاجية، فإن عدد المسيحيين المتناقص سيستمر دون توقف، متسببا في اختفاء الحياة المجتمعية في بعض كنائس القدس، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو، لماذا يهاجر مسيحيو القدس بل والأراضي المقدس أيضا ؟ ؟ ونجد الإجابة على هذا السؤال أولا في تكوين المجتمع المسيحي الذي يميل إلى "الطبقة الوسطى فيما يتعلق بالخلفية التعليمية والعمل وأسلوب الحياة. وثانياً في الوضع السياسي الذي شهد عقودا عديدة من الصراع الفعلي والانعكاسات السلبية على النواحي الاقتصادية والتشغيلية للسكان، بحيث أدى إلى دفع عائلات "لطبقة الوسطى" وأفرادها إلى مغادرة البلاد بحثا عن آفاق اقتصادية واجتماعية أفضل. ويطابق هذا إلى حد كبير تعريف المجتمع

---

[١] كما هو بالإنجليزية، د. برنارد سابيلا ... وحتى لأخر الهامش بالإنجليزية

المهاجر (Migrant Community) الذي يقول به خبراء الهجرة من أن مجتمعا لديه إنجازات تعليمية عالية ومستوى جيد نسبياً في المعيشة، ولا يتمتع بأية فرص حقيقية للأمن أو التقدم الإقتصاديين من المحتمل جدا أن يصبح مجتمعاً مهاجرا [1]

## علاقات مسيحية إسلامية ممتازة

أحد المظاهر التي تؤكد بشكل خاص العلاقات الممتازة ما بين المسيحيين وجيرانهم المسلمين، هو ذلك التبادل اليومي في العلاقة ما بين الشباب المسيحيين والمسلمين الذين يتعلمون في المدارس الخاصة التي هي مسيحية في معظمها. وفي هذه المدارس تعقد الصداقات التي تمتد طوال العمر، ويتعلم الأطفال عن ديانة بعضهم بعضا. فيما تبلور الروابط الثقافية والسياسية المشتركة نظرة الصغار وهم ينخرطون في شؤون مجتمعهم. لقد نما هذا التقليد من العلاقات المسيحية – الإسلامية الجيدة عبر قرون من التعايش والتعامل، ومن الجدير أيضا ذكر ما تساهم به العوامل التالية في هذا التقليد [2]:

أولاً: تاريخ فلسطين الحديث وتأثير الصراع العربي - الإسرائيلي على السكان جميعهم دون تمييز، بما في ذلك تجربة التشتت وضياع الوطن، وفي أعقاب الحرب

---

[1] كما هو بالإنجليزية

[2] كما هو بالإنجليزية

العربيـة – الإسـرائيلية سـنة ١٩٤٨، أصبح مـا بين ٥٠-٦٠ ألـف مسـيحي فلسطيني لاجئين، أو ما يقارب من ٣٥ في المائة من عدد الفلسطينيين المسيحيين جميعهم، وفي تلك الحرب أيضا، أصبح ما يقارب من ٧٢٦ ألفاً من الفلسطينيين لاجئين ٠

ثانياً: المساهمة التي قدمتها المؤسسات المسيحية، وأكثرها مؤسسات عربية منذ القرن التاسع عشر في مجالات التعليم والصحة وحاجات السكان الأخرى، بغض النظر عن الدين٠

ثالثا: وجود الأماكن المقدسة، واعـتراف الإسـلام بالأهميـة المركزيـة للقـدس والناصرة وبيت لحم بالنسبة للمسيحيين، وهذا ما يظهر على أفضل نحو في العهدة العمرية، التي قدمها الخليفة عمر بن الخطاب وهي الضمان الذي قدمه الخليفة لسلامة المسيحيين والأماكن المقدسة سنة ٦٣٨عندما دخل الإسلام هذه البلاد[1] ٠

رابعاً: الطبيعـة المدينيـة للسـكان المسـيحيين وإقامتـهم في أحيـاء مسـيحية – إسلامية مختلطة دينيا تؤكد الإنفتاح وعلاقات الجيرة٠ وفي الحالات التي يقيم فيها

[1] سابيلا مصدر سابق ص ٣٤-٣٥

المسيحيون في القرى والمناطق الريفية كانت العلاقات دوما متميزة بالتعاون الودي والمشاركة الإجتماعية ٠

خامساً: يعتز المسيحيون بجذورهم الوطنية والدينية، كما يعتز المسلمون بها، إذ أن كون المرء مسيحيا جيدا لم يتعارض أبدا مع كونه وطنيا فلسطينيا جيدا، والعكس صحيح ٠

سادسا: النظام المالي العثماني، الذي اعترف بالاستقلال الذاتي للطوائف المسيحية إدارة شؤونها الداخلية، وخاصة تلك المتعلقة بالشؤون الدينية والمدنية ٠[1]

## الطقوس والشعائر والاحتفالات

طقوس وشعائر وتقاليد مسيحي القدس، هي عوامل ما زالت تشد الطائفة إلى بعضها وتقوي أسباب وجودها، وبرغم الظلال الكئيبة التي تلقيها السياسة في الأرض المقدس على أعياد الميلاد مثلا، فما زال الآباء والأمهات في القدس يحاولون الاحتفال بهذه الأعياد بمظهر من الفرح داخل العائلة، حيث تزين أشجار الميلاد قبل العيد بأيام، وتظل مزينة إلى ما بعد عيد الميلاد الشرقي في السابع من كانون الثاني،

[1] للإطلاع على نص العهدة العمرية وتحليل عميق بها إرجع إلى Anton Issa's Le Minorities وحتى آخر الهامش٠٠٠

وعيد الميلاد الأرمني في ١٩ من الشهر نفسه. وتستعد العائلات والأطفال بشكل خاص بتمثيل مشهد الميلاد أمام شجرة العيد، وينتظرون أسوة بأطفال العالم مقدم "بابا نويل "بفارغ الصبر .

ويظل عيد الميلاد السمة الخاصة ببيت لحم، كما أن أسبوع الفصح من مميزات القدس، وتبدأ فترة الفصح بعيد المرفع حيث يتسنى لأولئك الذين ينوون الصيام أن يمتعوا أنفسهم بالطعام والحلويات لأنه لن يتوفر لهم ذلك إلا في أحد الفصح، وتحافظ معظم العائلات على الصيام الكبير. بما في ذلك الأطفال الذين يمتنعون عن أكل اللحوم أيام الأربعاء والجمعة، ويقومون بتضحيات "و "نذور" صغيرة هنا أو هناك .

مع قدوم حجاج الفصح الأوائل، وخاصة أولئك من قبرص – وفي سنوات سابقة من مصر ودول مجاورة أخرى، فان جو الفصح يبدأ بفرض نفسه، حيث تنتشر أماكن بيع التحف في كل شارع وأمام محلات التحف أيضا في حارة النصارى، وفي الأزقة المؤدية إلى كنيسة القيامة، حيث تعرض الشموع بالأشكال المختلفة، ويقوم الأطفال الذين تكون مدارسهم مغلقة بسبب العيد باستخدام كلماتهم وعباراتهم التي التقطوها باللغات الأجنبية لاجتذاب الحجاج لشراء هذه التحف

## أسبوع الفصح - أحد الشعانين

يبدأ أسبوع الآلام بأحد الشعانين، وتتخصص بعض العائلات في حارة النصارى في تحضير سعف النخيل على شكل أشجار صغيرة، ذات جيوب توضع فيها الزهور. وتقوم العائلات المحلية بشراء هذه السعف، وخاصة العائلات التي لديها أطفال صغار، حيث تزين هذه السعف بالزهور والأشرطة الملونة للمشاركة في احتفال أحد الشعانين الذي هو مناسبة اجتماعية حقا. وفي نهاية القداس، توزع أغصان الزيتون على أبناء الطائفة استبشاراً بالسلام. وعصر أحد الشعانين تشارك الطائفة في المسيرة التقليدية التي تنطلق من قرية بيت فاجي الواقعة على المنحدرات الشرقية لجبل الزيتون لتصل إلى كنيسة القديسه حنه داخل باب الأسباط في البلدة القديمة. تمثل أغصان النخيل النصر، ويحملها الجميع، وفي نهاية المسيرة، يهز المشاركون أغصان النخيل عندما يدخل البطريرك اللاتيني الذي يقود المسيرة إلى الكنيسة. أما صوت خشخشة الأغصان، فتذكر بأغصان الأشجار التي هزتها الجموع التي احتشدت حول يسوع عندما دخل القدس. وبعد المسيرة تقوم فرق الكشافة المسيحية والمسلمة القادمة من أنحاء فلسطين المختلفة، والتي بلغ عددها في احتفال أحد الشعانين سنة ١٩٩٥، ٣٢ فرقة بالمحافظة على النظام أثناء المسيرة، وكذلك

بالطواف حول أسوار القدس بلباسها وأعلامها الملونة، وهي تعزف الألحان الشعبية والوطنية في استعراض يشهد على العلاقات الإسلامية - المسيحية الجيدة ٠

وفي يوم الجمعة العظيمة، يشارك مسيحيو القدس الآلاف من الحجاج من أنحاء المعمورة في مسيرة الحزن في درب الآلام، هذه المسيرة التي تعبر الأربع عشرة محطة على هذا الدرب، تنتهي عند الجلجثة، ترافقها الجوقة الفرنسيسكانية وفرقة كشافة الأبرشية التي تحافظ على النظام ٠

## سبت النور

سبت النور هو يوم السبت الذي يجري الاحتفال فيه بقيامه المسيح في كنيسة القيامة، حيث يوجد قبر المسيح، وذلك بانبثاق النار المقدسة مئات من الحجاج، عدد كبير منهم من القبارصة واليونان والقبط، يقضون ليلتهم بجوار القبر المقدس ليكونوا بين الأوائل الذين يشاهدون النور٠ ثم ينضم إليهم المسيحيون المحليون في ساعات الصباح الباكر، وتغص الكنيسة بساحاتها وأسطحتها بالجماهير التي تحمل الشموع والمصابيح ٠

وفي ساعات الظهر أو بعده بقليل، يتحرك موكب البطريرك الأرثوذكسي وحاشيته من مكان إقامة البطريرك إلى كنيسة القيامة عبر درجات تصل ما بين سطح

مقره والكنيسة وتفضي إلى داخلها، وأثناء ذلك، يتجمع الشباب المسيحيون في أحد ساحات حارة النصارى ويتحركون عبر الأزقة الضيقة إلى الكنيسة، وفي طريقهم يحملون أحدهم على الأعناق ليقود هتافاتهم، ومن هذه الهتافات "عيدوا عيدوا ورايي، يا عذرا عليك السلام من المسيحية والإسلام" و "إحنا النصارى والشمع في أيدينا، على مار جرس الخضر صلينا" وعندما يدخل الشباب إلى الكنيسة، يحيطون بالقبر المقدس مرددين "هذا قبر سيدنا، سيدنا يسوع المسيح، المسيح اشترانا وبدمه فدانا، إحنا اليوم فراحى"· وبعد أن يدورا حول القبر ثلاث مرات· ينتظرون الموكب الرسمي الذي يقوده البطريرك، وبمشاركة أفراد من العائلات الأرثوذكسية العربية العريقة، وهم يحملون السناجق والأعلام المطرزة وهذا أحد التقاليد القديمة ·

ثم يتحرك الموكب من كنيسة "الكاثوليكيون" الواقعة إلى الشرق من القبر المقدس، حول قبة القبر المقدس وفي نهاية المسيرة، يدخل البطريرك إلى محراب القبر وتصمت الجماهير التي كانت متهيجة، وذلك انتظارا لانبثاق النور المقدس، ويمكث البطريرك حوالي ساعة في الصلاة والتأمل، وعند حوالي الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر، يظهر "النور"ويتم تناقله بسرعة من شمعة إلى أخرى، وتضاء المصابيح ويمرر المؤمنون بيديهم على النور ويصلون وهم يتبركون، ثم ينتشر النور فورا في ضواحي

الكنيسة والمكان كله في الداخل والخارج، وتنطلق الزغاريد وتدق الأجراس، ويكون النور في طريقة إلى أماكن البلاد البعيدة ٠

وتنطلق فرق كشافة الروم الأرثوذكس والفرق الأخرى، بمن فيها الفرق المسلمة، التي تكون على سطح الكنيسة في انتظار النور، لتعزف موسيقاتها وهي تتحرك نحو الأزقة الضيقة في حارة النصارى، وتقابلها مجموعات الشباب التي تحمل الشموع والمصابيح المضاءة وهي تهتف بالشعارات التي تختلط بموسيقى الفرق، ويكون الجو جو فرح شعبي واحتفال ويحيي المسيحيون بعضهم بعضا بتحية العيد "المسيح قام" "حقا قام"٠

## المسيحيون - التطورات السياسية ومستقبل القدس

ما هو موقف الفلسطينيين المسيحيون في الضفة الغربية وقطاع غزة الذين يبلغ عددهم خمسين ألفاً ؟؟ ما هي توقعاتهم بالنسبة لمستقبل القدس على وجه التحديد ؟٠

الفلسطينيون المسيحيون بمن فيهم مسيحيو القدس، يؤيدون التطورات السياسية الجارية اليوم في المنطقة، هذه التطورات تبعث الأمل بأن عهدا من السلام والرخاء قد أخذ يتشكل في أرضنا ومنطقتنا المضطربة أخيرا٠ وعملية السلام مهمة

بالنسبة للمسيحيين بشكل خاص، إذن المؤشرات تقول بأنه مع حلول السلام، فإن عدد المسيحيين الذين سيفكرون في الهجرة سيتضاءل، ففي مسح جرى سنة ١٩٩٣، لاستكشاف النوايا فيما يتعلق بالهجرة، تبين أن لدى المسيحيين رغبة أكبر في الهجرة عما لدى أبناء شعبهم الآخرين، وفي إجابتهم على سؤال فيما إذا كانوا سيرغبون في الهجرة إذا ما حل سلام حقيقي في المنطقة، أجاب ٦٥ في المائة من المسيحيين الذين تم توجيه السؤال اليهم، بأنهم لن يهاجروا إذا ما حدث شيء كهذا، ومن الواضح أن حلول السلام، سيوقف نزيف هجرة المسيحيين من القدس والأراضي المقدسة ٠

موضوع القدس – الطائفة المسيحية ورؤسائها

ما هو موقف المسيحيين الفلسطينيين من موضوع القدس ومستقبلها، وهم يؤيدون عموما السلام العادل والشامل ؟؟ بإمكاننا أن نستكشف إجابتين عامتين لدى الطائفة المسيحية وقادتها حول هذا الموضوع٠ الإجابة الأولى هي أن مسيحيي القدس مهتمون بمشاغلهم اليومية والقيود التي يفرضها الجو السياسي الحالي٠ والإجابة الثانية من جهة أخرى هي أن رئاسة الكنيسة مع حساسيتها للمشاغل والقيود التي تواجه المؤمنين، إلا أنها تعي ضرورة تسليط الضوء على الوجود المسيحي في المدينة

المقدسة، بغض النظر عن القيود والحجج المؤقتة التي تحكم الترتيبات، إلا أن تسليط الضوء هذا، كما سنشرح ذلك لاحقا تم أيضا بالنسبة لاتباع الديانات الأخرى الذين يعتبرون القدس مدينتهم المقدسة كذلك ٠

## المشاغل اليومية / القيود / المخاوف

البطالة مشكلة في صفوف الطائفة المسيحية في القدس٠ فخريجو المدارس الثانوية والكليات والجامعات لا يجدون عملا٠ وتشير التقديرات إلى أن نسبة البطالة بين المسيحيين القادرين على العمل تتجاوز الثلاثين في المئة، وتعود هذه النسبة العالية إلى كبر السن في الطائفة، بسبب هجرة الشباب وتفضيل العمل المكتبي [1]

كما تشير المعلومات الخاصة بالدخل، إلا أن أغلبية الموظفين المسيحيين غير راضين عن دخولهم، حيث أنها غير كافية لتغطية التكلفة العالية للمعيشة التي تميز اقتصاد إسرائيل والضفة الغربية٠ وفي القدس نفسها، نجد أن دخل العائلة المسيحية لا يتجاوز ٥٨,٦ في المائة من دخل العائلة اليهودية [2] ، ولذا فإنه حتى لو كان هنالك اثنان أو ثلاثة من أفراد العائلة يعملون، فإن مجموع دخلهم يكاد لا يغطي حاجاتهم، إذا

---

[1] الدكتور برنارد سابيلا ٠٠٠ وحتى الآخر كما هو بالإنجليزية
[2] كما هو بالإنجليزية

ما أخذنا بالاعتبار التكلفة الغالية للمعيشة والتفاوت ما بين دخل العائلة العربية واليهودية ٠

أشارت المعلومات الواردة في الإحصائيات الإسرائيلية لسنة ١٩٨٣، إلى أن ١٨,٧ فقط من مسيحيي القدس يملكون بيوتا ٠ وربما ارتفعت هذه النسبة منذ ذلك الوقت، إلا أن المؤشرات تدل على أن الأغلبية الساحقة من العائلات المسيحية لا تملك بيوتا ٠

ومع الإجراءات والتقييدات الإسرائيلية المفروضة على بناء البيوت والوحدات السكنية في القسم الشرقي العربي في القدس، فقد أصبح من الصعب جدا على الأفراد والعائلات الحصول على الترخيص المطلوب لبناء البيت٠ وتتخذ هذه الإجراءات من جانب السلطات لضمان بقاء التوازن السكاني العربي – اليهودي في القدس "الكبرى "كما هو عليه ٢٨–٧٢ في المائة، ومع ذلك وحتى لو منحت رخص بناء، فإن التكاليف الهائلة التي يجب أن تدفع أثناء العملية تجعل من بناء بيت خاص أمنية أكبر من إمكانيات معظم الناس، إن لم يكن كل أبناء الطبقة الوسطى في القدس الشرقية، ويعني هذا، أن العائلات المسيحية بغض النظر عن طوائفها، لن تتوفر لها الإمكانية أبدا لبناء أو امتلاك بيوتها أو شقتها ٠

## الحاجات الإسكانية لمسيحي القدس ·

توضيحا للتأثيرات الفعلية للإجراءات والتقييدات الإسرائيلية، فإن الإحصائيات الإسرائيلية الرسمية عن القدس سنة ١٩٩٢، تظهر أنه من بين ٣١٥٥ وحدة سكنية أقيمت في تلك السنة في القدس "الكبرى" كانت هنالك ٢٤٠ وحدة منها فقط أي حوالي ٧,٦ في المائة بناها العرب في القسم الخاص بهم من المدينة[1]، وإذا استرشدنا بالمعلومات على الحاجات الإسكانية بين السكان العرب في القدس، وأخذنا بالاعتبار نسبة المسيحيين في المدينة، فإننا نجد أن هنالك حاجة فورية لبناء ٤٨١ وحدة سكنية للمسيحيين، تكون منها ١٧٦ وحدة في البلدة القديمة و ٣٠٥ وحدات خارج الأسوار، وحيث أنه من المستحيل عمليا البناء داخل البلدة القديمة، فإنه لا بد من بناء كل هذه الوحدات في الضواحي الشرقية والشمالية للمدينة· وعلى أولئك القاطنين في البلدة القديمة أن يحافظوا على سكنهم هناك لمواصلة البقاء والاستيعاب جزء من الزيادة الطبيعية للطائفة، رغم أن هذه الزيادة هي قليلة ·

## استحالة بناء البيوت في البلدة القديمة

تعود استحالة بناء البيوت داخل البلدة القديمة إلى طبيعة البلدة داخل السور، حيث لا يوجد فيها مكان فارغ يمكن البناء عليه، كما تعود أيضا إلى قرب

[1] استنادا إلى الأرقام الواردة في إحصاء السكان الإسرائيلي سنة ١٩٨٣

البيوت إلى بعضها إلى حد كبير جدا إلى جانب ذلك، فإنه يكاد يكون من المستحيل بالنسبة للسلطات الإسرائيلية أن تعطي تصاريح بناء داخل أسوار المدينة،وفي الوقت ذاته، فإنه من الصعب والمكلف جدا وخاصة بالنسبة للعائلات بشكل فردي، الحصول على تصريح بناء خارج السور، من السلطات الإسرائيلية لأسباب سياسة وفي ظل وضع إسكان كهذا، فإن هناك مخاوف بين القدسيين العرب بمن فيهم الكثير من المسيحيين الحاملين بطاقات هوية إسرائيلية من أن يؤدي انتقالهم للعيش خارج حدود بلدية القدس إلى فقدان بطاقات هويتهم، وبالتالي فقدان حقهم في الإقامة الدائمة في القدس نفسها· وإذا ما حصل شيء كهذا، فإن مقدسين أصليين كانوا في المدينة مع عائلاتهم أجيالا بل وقرونا لا تحصى، سيجدون أنفسهم غرباء في مدينتهم، وهذا مصدر قلق لكثير من المقدسين الذين يقطنون حاليا خارج حدود القدس البلدية· كما أن هذا مصدر قلق أيضا لكل الذين يصلون ويعملون من أجل سلام القدس والأرض المقدسة ·

## عزل القدس عن الضفة والقطاع

مصدر آخر للقلق، سبب أذى عاطفيا ومعنويا هائلا للمسيحيين والفلسطينيين عموما هو "الطوق الأمني" الذي فرضته إسرائيل على المدينة نتيجة عزل

الضفة الغربية وقطاع غزه لأسباب "أمنية"· هذا الطوق منع المسيحيين والمسلمين من الوصول إلى أماكن العبادة في القدس بحرية منذ آذار ١٩٩٣ · وتطلب السلطات الحصول على تصاريح من السلطات العسكرية والإسرائيلية في الضفة الغربية من أجل أن يتمكن الفلسطينيون الراغبون بزيارة القدس من القيام بذلك· فلسطينيون كثيرون في بيت لحم ورام الله مثلا· وهما منطقتان فيهما تركيز مسيحي نسبي، لم يتمكنوا من زيارة القدس منذ فرض الطوق الأمني، لا يتناقض هذا مع الحقوق الدينية وحسب، ولكنه يحد أيضا من ممارسة حقوق الإنسان الأساسية الأخرى، مثل التعليم والصحة· وكذلك القيام بالالتزامات العائلية البسيطة مثل حضور حفلات الزفاف والخبازات ومناسبات عائلية أخرى مهمة·

## القدس العربية - عاصمة دولة فلسطين

يعتقد مسيحيو القدس مثلهم في ذلك مثل الفلسطينيين الآخرين، أن القدس الشرقية، وهي الجزء العربي من المدينة ينبغي أن يكون عاصمة دولة فلسطين· ولا ترى أغلبية المسيحيين إمكانية إقامة سلام حقيقي دون الوصول إلى حل تصالحي حول القدس تحس بموجبه المجموعتان القوميتان، الفلسطينية والإسرائيلية· وكذلك المجموعات الدينية الثلاث، اليهودية والمسلمة والمسيحية بالراحة والاستقرار في

المدينة. هذه الراحة وهذا الاستقرار لا يمكن أن يتوفرا دون حل يرضي الطموحات الوطنية والدينية لكل طائفة في المدينة. عند الوصول إلى حل كهذا فقط ستكون المدينة حقا مدينة السلام .

## مذكرة رؤساء الكنائس المسيحية الخاصة بالقدس [1]

أصدر اثنا عشر رئيساً للكنائس والطوائف المسيحية المختلفة في القدس والأراضي المحتلة في ١٤ تشرين الثاني ١٩٩٤، مذكرة جماعية حول "أهمية القدس بالنسبة للمسيحيين"، وتعرض المذكرة رؤية القدس بوصفها مدينة مقدسة "لاتباع الديانات التوحيدية الثلاث ... مع نداء خاص للتصالح والانسجام بين الناس" ويشير رؤساء الكنائس إلى أنه في مجرى عملية السلام تم مرة أخرى تجنب موضوع القدس بسبب المسائل الصعبة المتعلقة بوضعها وبالسيادة عليها، وتشير المذكرة إلى أن المطالب الشمولية التي يقدمها هذا الطرف أو ذلك، لا يمكن إلا أن تكون سببا للتباعد والصراع. ويشدد رؤساء الكنائس على أن "القدس يجب أن تكون مفتوحة أمام الجميع ومشاركة الجميع" وأنها يجب أن تصبح "عاصمة البشرية".

---

[1] الأرقام الخاصة بالوضع السكاني مأخوذ من: The statistical year book of Jerusalem الصادر عن بلدية القدس ومعهد القدس للدراسات الإسرائيلية ١٩٩٣

## موطن الجذور

المسيحيون "بحسب عقيدتهم" كما تقول المذكرة، "يؤمنون بأن قدس الأنبياء ستكون المكان المنتظر للخلاص من المسيح يسوع ومن خلاله"٠ أما بالنسبة للوجود المستمر للطائفة المسيحية، فإن رؤساء الكنائس يؤكدون على أن "القدس هي موطن الجذور، ستظل حية وملهمة أبدا"، وأن "الكنيسة المحلية بمؤمنيها كانت دائمة حاضرة بشكل نشط في القدس، وشاهدة على حياة يسوع المسيح ،وتعاليمه وعلى موته وقيامته في الأماكن المقدسة نفسها، وكان المؤمنون دوما في استقبال الاخوة والأخوات الآخرين في الإيمان، حجاجا ومقيمين ومسافرين داعينهم إلى الانغماس في المصادر الكنسية المنعشة والحية أبدا"٠

## حرية الوصول إلى أماكن العبادة

يدرك رؤساء الكنائس في الأراضي المقدسة، بان القدس هي مدينة مقدسة "وكمثل المدائن الأخرى، في الوقت نفسه وللمسيحيين والمسلمين واليهود، الحق في أن يستمروا في العيش فيها بحرية، وان يتمتعوا بكل الحقوق التي تترتب على ذلك"٠ثم يحدد الرؤساء "المطالب المشروعة للمسيحيين بالنسبة للقدس"، التي تتضمن انه "حيث أنها مدينة مقدسة مثالية، فانه ينبغي أن تكون هناك حرية كاملة في

الوصول إلى أماكنها المقدسة وان تكون هناك حرية عبادة"٠ إن الحق في الحج إلى القدس، يجب أن يكون مضمونا بروح التقليد الأصلي للحجاج ٠

## حقوق المسيحيين والمواطنين

بالنسبة للطوائف المسيحية المحلية "فإنها ينبغي أن تتمتع بكل تلك الحقوق، لتتمكن من مواصلة وجودهما النشط بحرية والقيام بمسؤولياتها تجاه أعضائها المحليين وتجاه الحجاج المسيحيين من أرجاء العالم"٠ وتواصل المذكرة مؤكدة على أن للمسيحيين المحليين "ليست فقط بوصفهم مسيحيين وحسب، ولكن، مثلهم في ذلك مثل كل المواطنين الآخرين، سواء أكانوا متدينين أم لا، أن يتمتعوا بالحقوق الأساسية نفسها التي للجميع: الحقوق الاجتماعية والثقافية والسياسية والوطنية"، هنالك حقوق معينة مذكورة مثل حرية العبادة والرأي والحقوق المدنية والتاريخية، وكذلك "حق أن تكون لهم مؤسساتهم" التي تقوم بالمهمات المختلفة، دينية وتعليمية وخاصة بالحج وغيرها٠ ويعترف رؤساء الكنائس المسيحيون للطوائف اليهودية والإسلامية في المدينة بما يطالبون به لطوائفهم: "يعتبر المسيحيون أنفسهم مكلفين بالبحث مع اليهود والمسلمين في تطبيق هذه الحقوق بشكل يلقي الاحترام المشترك وفي السعي إلى تعايش منسجم على ضوء نداء القدس العالمي الرقمي" ٠

## نظام خاص بالقدس

تم تمضي المذكرة طارحة وجوب أن يكون هناك نظام خاص بالقدس يضعه ويطبقه ممثلون عن الديانات التوحيدية الثلاث، سوية مع القوى السياسية المحلية، وأن على المجتمع الدولي أن يشارك في استقرار واستمرار هذا النظام ٠

وتختتم المذكرة بالدعوة التالية :"إننا ندعو كل الأطراف إلى تجاوز الرؤى والأعمال الشمولية الخاصة بها، وأن تضع في الاعتبار دون تمييز الطموحات الدينية والقومية الخاصة بالآخرين، ذلك لمنح القدس تأنية طبيعتها العالمية الصحيحة وجعلها مكانا مقدسا للمصالحة البشرية "٠

## مستقبل القدس - مفتاح السلام

مسيحيو القدس جزء لا يتجزأ من المدينة، ومن جراحها وويلاتها ووعودها٠ وكمثل الآخرين القاطنين فيها، فإن لديهم حلما بأن تصبح المدينة يوما ما رمزا حقيقيا للسلام، وأن يكون باستطاعة أولادهم وأولاد المسلمين وأولاد اليهود أن يخططوا للمدينة سويا٠ يمكن توسيع العلاقات التقليدية الممتازة بين المسيحيين والمسلمين لتشمل اتباع الديانات التوحيدية للثلاث على قاعدة من المساواة والثقة المتبادلة والاحترام، ليس هذا كثيراً على مدينة تمثل الكثير بالنسبة للكثيرين من

الناس، وإذا فشلت الديانات التوحيدية في تقاسم المدينة، وإذا لم تتمكن المجموعتان القوميتان الفلسطينية والإسرائيلية من تسوية خلافاتهما، فإن كل عملية السلام ستكون موضع شك حقيقي. إن النجاح في القدس هو مفتاح للعملية السلمية وحسب، بل ولمستقبل إسرائيل وفلسطين ومنطقة الشرق الأوسط كلها .

* * * *

# القدس

# مسائل دينية وأماكن مقدسة

# نحو الحل الدائم

د. اسحق رايتر

## مقدمة

أود أن أبدأ كلمتي بالتنويه إلى أن الآراء التي أطرحها هنا، إنما هي آرائي الشخصية، ولا تمثل بحال موقفا إسرائيليا رسميا. كما لا يمكن الإدعاء بأن هذه الأفكار تمثل "إجماعا يهوديا"، حيث أن هناك مجموعات يهودية متنوعة في إسرائيل وفي الشتات، لها توجهاتها المختلفة تجاه الأمور الدينية والأماكن المقدسة. أفترض أيضا أن المشاركين الآخرين في هذا الملتقى المتميز على علم بهذا، كما أننا على علم بوجود تيارات ووجهات نظر مختلفة في المسيحية والإسلام.

أكون مقصرا في أداء واجبي، بعد أن أشرت إلى اختلاف التيارات ووجهات النظر بين اليهود، إذا لم أؤكد منذ البداية أن الشيء الذي كان وما زال مشتركا بين اليهود جميعا في الأزمان والأماكن كافة هو مركزية القدس بالنسبة للعقيدة والهوية اليهوديتين.

فالقدس بالنسبة للشعب اليهودي ليست مجرد مدينة تضم أماكن مقدسة، أو تذكر بأحداث مقدسة، بل هي مقدسة لأنها كذلك، وظلت على مدى ألفين وخمسماية سنة على الأقل رمزا للوجود التاريخي لشعب مطارد ومهان، يتعرض للمجازر، ولكنه لم يفقد الأمل والوعد باستعادتها وبإعادة بناءها في نهاية المطاف ٠

أصبحت القدس وصهيون كلمتان مترادفتان للأمل، ولمعنى الوجود اليهودي ولاستمراريته منذ الأيام التي تكلم الله فيها عن مكان معين يختاره، استنادا إلى مؤلفي الكتب التوراتية، والى أيام العودة، التي لم تكن موضع شك أبدا لدى اليهود مهما بدت وكأنها غير محتملة الحدوث ٠

دخلت القدس التاريخ اليهودي بعد أن كانت مستوطنة كنعانية، وعاصمة للشعب اليبوسي، اثر تحقيق الملك داود وحدة أسباط إسرائيل واحتلالها، وإقامة الملكية والعبادة في الهيكل قبل ١٠٠٦ سنة من ميلاد المسيح٠ أصبحت القدس بذلك، هي الرمز والتعبير الأهم عن الانتقال من "حالة وجود شعب "إلى تشكيل "أمة" و "دولة"٠ لقد تأكدت الصفة المقدسة للمدينة بإحضار تابوت العهد من كريات يعاريم٠ ومنذ ذلك الوقت، فإن قداسة مدينة الشعب اليهودي موجودة في "Shechina" وحي الله الموجود، حيث كان يوجد التابوت، إن نقل تابوت العهد إلى

الهيكل الذي أقامه الملك سليمان على جبل موريا، وهو المكان الذي يعتبر وفق التقليد اليهودي المكان الذي هم فيه إبراهيم بأن يضحي بابنه، كان هو السبب لوعد الله "ويأمن بيتك ومملكتك إلى الأبد أمامي كرسيك يكون ثابتاً إلى الأبد" (صموئيل الثاني، الإصحاح السابع ١٦)٠ عند ذلك بدأ استيعاب القدس وجبل صهيون في الوعي الديني لدى الأسباط جميعها بما في ذلك سبط يهودا٠ وتحت حكم يوشيياهو، جرت محاولة إصلاح كبرى، شكلت المكان الذي جعل الله اسمه يذكر فيه، كما جعلته المركز الوحيد لأعياد الحج ٠

تأكدت مركزية المدينة بالنسبة للشعب اليهودي من خلال تحذير الأنبياء بأن الله سيرفع حمايته عن المدينة وشعبها إذا ما تبين انهم غير مخلصين له، ثم تبع ذلك سقوط المدينة على أيدي البابليين سنة ٥٨٦ قبل الميلاد، مما أدى إلى شتات شعبها اليهودي ٠

بتدمير القدس وهيكل سليمان على أيدي البابليين سنة ٥٨٦ قبل الميلاد، واجه اليهود في المهجر البابلي مشكلة جديدة، وهي كيف يستمرون بممارسة شعائرهم رغم فقدان القدس، باعتبارها مركزهم القومي الديني٠ لقد عبر كاتب

المزامير عن هذه المشكلة بأكبر قدر من الفصاحة، أصبحت في القرون التالية نوعا من التعهد بالولاء إذ يقول:

"على أنهار بابل هناك جلسنا، بكينا أيضا عندما تذكرنا صهيون، على الصفصاف في وسطها علقنا أعوادنا. لأن هناك سألنا الذين سبونا كلام ترنيمة ومعذبونا سألونا فرحا قائلين، رنموا لنا من ترنيمات صهيون، كيف نرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة، إن نسيتك يا أورشليم تنسى يميني، ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك، إن لم أفضل أورشليم على أعظم فرحي".

المغزى فيما سبق واضح، وهو أنه تم نقل اليهود من قلب صهيون، إلا أنه لم يتم نقل القدس من الفؤاد اليهودي، لقد جاءت استعادة القدس لترمز إلى البقاء القومي اليهودي، والإخلاص للتوراة، ولترمز بالتأكيد إلى الآمال في نهاية المطاف بحلول فترة قدوم المسيح، وذلك عندما تتم إعادة اليهود إلى صهيون وإعادة صهيون إلى اليهود.

تطور مفهومان في أوساط اليهود بالنسبة للقدس أثناء الشتات، وهما الحنين إلى إعادة بناء الهيكل واستعادة القدس وكذلك رؤية القدس تؤدي دورها الديني في علاقة بالإنسانية كلها، حين تعترف كل الأمم برب اليهود، عندما يرسل الله مسيحه –

ومن هنا جاءت أهمية أن يدفن المرء على جبل الزيتون في القدس، وجاء إعلان كورش الفارسي كخلفية لتعمير الهيكل اليهودي الثاني سنة ٥١٥ قبل الميلاد، فدمروا هذا الهيكل وأحرقوه الرومان سنة ٧٠ بعد الميلاد، أثناء فترة الهشمونيين وحتى الثورة اليهودية الأولى ضد الرومان، كانت القدس مركز الحج في ثلاث أعياد في العام (شالوش ريجاليم)· وقد قيل "من لم يشهد عيد السكوت في القدس لم يذق طعم الحياة"· وبعد الثورة اليهودية الثانية، وتدمير الهيكل للمرة الثانية وبدء فترة طويلة من الشتات ،اكتسب مفهوم القدس لدى اليهود ثلاثة أبعاد وهي: ١- حقيقة القدس التاريخية كلما كانت تحت سيطرة اليهود أو الآخرين· ٢- حقيقة القدس المدمرة · ٣- حقيقة وعد الله والالتزام المستمر بوعوده فيما يتعلق بالقدس، والتي تجد تلخيصا لها في القدس السماوية التي لا يمكن تدميرها· لقد استمرت حقيقة القدس الفعلية في الفقه اليهودي - هالاخاه - حتى إلى ما بعد الدمار· فقد استمر الفقهاء في العمل على توجيه الأوامر المناسبة بالنسبة للعبادة والحياة في المدينة· وفي القصص التقليدية اليهودية (هاجاداه)، تم رفع القدس فوق كل الأماكن على الأرض، أنها مركز الأرض بل وسرتها، منها ستفيض الفوائد على الأمم كلها، وجمال القدس يفوق كل جمال· فقد حظيت القدس بتسعة مقاييس من المقاييس العشر التي نزلت على الدنيا· وفيها

وقعت كل أحداث التاريخ العظيمة منذ الخليقة وعبر اسحق (الذبيح) وإنشاء قدس الأقداس والى اليوم الأخير وقيامه الموتى ٠

أثر تدمير الهيكل وسقوط القدس تحت حكم اليهود، على العبادة والصلوات اليهودية، كانت الصلاة تتم بالتوجه نحو القدس كقبلة اليهود٠ وهناك مراثي خاصة بمناسبة التاسع من آب، وهو التاريخ الذي حل فيه الدمار بالهيكل مرتين،يرد فيه "تشل يميني إن نسيتك يا أورشليم" ومن أجل ضمان استعادة القدس على الأرض، يستمر اليهود في أداء صلاة (العاميداه) ثلاث مرات يوميا، وفيها جزء مخصص لهذا الإدعاء، وكذلك صلاة الفصح (سيدر) وصلاة يوم الغفران، وكلتاهما تنتهي بعبارة "السنة القادمة في القدس" ٠

لعل أحد المؤشرات الأولى على أهمية القدس في اليهودية، هو انتشار المصادر التي تتعامل مع المدينة من زاوية أو أخرى منذ زمن التوراه، إذ تشير التوراة اليهودية بوضوح إلى القدس باسمها حوالي ٧٠٠ مرة، كما تشير حوالي ١٥٠ مرة إلى الاسم الملازم للقدس ألا وهو صهيون، والذي ربما كان يشير إلى جبل الهيكل، ثم أصبح يشير فيما بعد إلى القدس العاصمة وبالتالي إلى الأراضي المقدسة بمجملها ٠

هذه المئات من الإشارات الواضحة إلى القدس وصهيون بالإسم، ما هي إلا جزءا بسيطا من مجمل إشارات التوراة إلى القدس، إذ أن الإشارات الضمنية لا يمكن أن تحصى، كما يعكس الأدب اليهودي فيما بعد التوراة أيضا أهمية القدس المركزية إلى جانب ذلك تزخر كتب الفتاوي والتلمود والميدراش (تعاليم وتفسير الفقه) وبالإشارات الصريحة والضمنية إلى القدس أسوة بكتب المراسيم الدينية اليهودية الكلاسيكية ٠

إنها مركزية القدس في القانون والتاريخ اليهوديين اذن، هي التي تسبغ على المدينة أهميتها الروحية في الديانة اليهودية٠ ولأن القدس كانت عاصمة كلما كانت مستقلة، فقد أصبحت تمثل الطموحات الروحية والوطنية اليهودية٠ كما تركزت المركزية السياسية التي أنشأها داود وسليمان على القدس، وكانت القدس في الوقت نفسه مركزا دينيا للعبادة في الهيكل٠ ولذلك نجد أن لكلمات عزيا (٣:٢) وميخا (٢:٤) مباشرا ومعاصرا، كما أن لها أهمية تتعلق بالعالم الآخر٠ "فمن صهيون ستأتي التوراة ، وكلمة الله تأتي من القدس" ٠

حين تصور اليهود القدس السماوية، إنما فعلوا ذلك ليجعلوا لآمالهم في استعادة القدس الأرضية عنوانا ومعنى، وهكذا، نجد أن الأمل عند اليهود في استعادة القدس الأرضية، هو المكون الأول والضروري لتحقيق توقعاتهم يوم القيامة ٠

بروح هذا التجمع وبحثنا عن السلام، فإنني لن أركز في هذه الكلمة على تقديم موقف واضح، أو اتخاذ موقف ثابت، بل سأركز على محاولة طرح مواضيع جوهرية أعتقد أننا بحاجة إلى فحصها ومناقشتها بأمانة وبعقول مفتوحة وخلاقة٠ كما أنني لن أخوض في التفاصيل الكثيرة الخاصة بأماكن مقدسة محددة ينبغي فحصها ومعالجتها، حيث أفترض أن مثل هذه التفاصيل ستشكل مادة لكثير من نقاشاتنا المستقبلية، ورغم أنني أعتقد أن هناك الكثير مما يمكننا أن نتعلمه من القيام بمراجعة دقيقة للترتيبات الحالية في مكان مقدس محدد كالحرم الشريف أو جبل الهيكل، فإني أعتقد أنه من المهم أولا تناول مواضيع ومبادئ أكثر عمومية تتعلق بالأماكن المقدسة٠

## الوضع السياسي والديني

أبدأ بالإشارة إلى ما يمكن أن يكون واضحا لأي شخص على معرفة بتاريخ الأماكن المقدسة القديم والحديث، إن الوضع السياسي والوضع الديني للأماكن المقدسة مرتبطان بشكل وثيق، فحين يقدس اتباع عقيدة ما، مكانا ما، فإنه يكتسب

أهمية سياسية بالنسبة لهم، ويحاول المؤمنون بالتالي الحفاظ على هذا المركز وتطويره، ليس فقط باعتباره مقصد للحج، بل باعتباره أيضا نقطة مركزية للمصالح والاهتمامات السياسية، بل حتى لطموحات وهوية وطنية محددة. النزاع السياسي على العكس من ذلك، قد يؤدي إلى تضخيم أهمية مكان مقدس معين بالنسبة لاتباع عقيدة ما في مجرى صراعهم السياسي مع اتباع عقيدة أخرى. فقد أدى التنافس التاريخي بين العقائد التوحيدية الكبرى الثلاثة، اليهودية والمسيحية والإسلام، في وضع القدس الخاص إلى تعزيز الأهمية السياسية للمدينة، وفي الوقت ذاته، يبدو أن الصراع السياسي بين العرب الفلسطينيين واليهود الإسرائيليين، الذي انفجر اثر تغلغل القومية في الشرق الأوسط، قد ضخم الأهمية الدينية لأماكن مقدسة معينة، مما زاد في تقوية الارتباط بين المجالات السياسية والدينية الخاصة بالأماكن المقدسة .

إن تغيير الحكم في القدس الشرقية من أردني مسلم إلى إسرائيلي يهودي، والتأثير الذي تركه هذا التغير، إنما يوضحان طبيعة الصراع بين اليهودية والإسلام، وهما متشابهان في نواح عديدة، فلكل من الديانتين ارتباط بكل مجالات حياة اتباعها وأعمالهم اليومية، كما لا تعترف أي من الديانتين تقليديا بفصل الدين عن الدولة، أو السلطة الروحية عن السلطة السياسية، وبالتالي نجد أن الأماكن المقدسة بالنسبة

لاتباع الديانتين تكتسب أهمية مزدوجة، إذ أنها نقاط مركزية للهوية الدينية والسياسية في آن معا، لقد تم استخدام الأماكن المقدسة لتقوية الوعي القومي عند اليهود الصهاينة وعند العرب الفلسطينيين. إن تعزيز هويتين في الأماكن المقدسة دينية وسياسية، إنما يجعل موضوع هذه الأماكن معقدا وحساسا إلى أقصى حد، كما يدرك كل طرف في هذا الصراع السياسي أن أي تغيير قد يطرأ على وضع هذه الأماكن سيؤثر على دوائر أكثر اتساعا من مجرد المجتمع المحلي، إذ سيكون له أثر على كل من العالم اليهودي والمسيحي والمسلم .

من الصواب القول بأن أغلبية المجتمع الإسرائيلي لا تعتبر نفسها "متدينة"، بمعنى أنه لا يقوم بجميع الفرائض الدينية، على الأقل ليس بالمعنى اليهودي التقليدي الصارم ، إن إسرائيل أساساً هي مجتمع علماني، ومع ذلك ، ورغم أن معظم اليهود الإسرائيليين لا يعّرفون أنفسهم "بالمتدينين" بالمعنى الصارم للكلمة، فإن نسبة أكبر منهم يعّرفون أنفسهم بأنهم "تقليديين"، بمعنى أنهم يواصلون اتباع مبادئ أو عادات دينية معينة، تربطهم بالتقليد اليهودي. إن تأثير الوالدين، والرغبة في الحفاظ على الارتباط بالتاريخ والتراث اليهودين تدفعهم إلى ذلك، وبالتالي، فإن هذه "التقليدية" تؤثر بشدة على الطريقة التي يرتبط بها الإسرائيليون بالأماكن المقدسة،كما اتضح ذلك على أشده

في ردود الفعل العميقة، حتى لدى الإسرائيليين "العلمانيين"، عمدا أصبح بإمكانهم مرة أخرى، أن يزوروا حائط المبكى بعد حرب ١٩٦٧ ٠

يجب أن نشير أيضا إلى أن إسرائيل ليست دولة ثيوقراطية خاضعة لحكم رجال الدين، لا فيما يتعلق بالنظام القانوني، ولا فيما يتعلق بحكومتها ٠ صحيح أن النظام القانوني يأخذ بالاعتبار مبدئياً "التراث اليهودي" إلا أن الممارسة تظهر أنه باستثناء الحالة الشخصية التي تعتبر غير خاضعة للبحث، فإن قوانين الدولة لا تستند إلى القانون الديني اليهودي، بل إلى قانون مدني متجذر في المبادئ والمعايير القانونية التي تبنتها شريحة واسعة من المجتمع الدولي٠ وبالمثل٠ فإن حكومة إسرائيل هي حكومة علمانية، ولا بد، بعد أن أكدنا على ذلك أن أشير إلى أن الأحزاب "الدينية" تلعب دوراً في الحكومة الإسرائيلية، قد يعتبره البعض متفاوناً، وتدل كل المؤشرات على أن أي حكومة في إسرائيل، ستعتمد على الأقل في المستقبل المنظور على الأحزاب الدينية، لضمان نجاحها في تنظيم تحالف برلماني ٠

نتيجة لذلك كله، سيكون على أية حكومة أن تأخذ بالاعتبار المشاعر التقليدية لشريحة واسعة من الشعب اليهودي، والمنظور الخاص بالأحزاب الدينية في كل المفاوضات، وخاصة ما يتعلق منها بالقدس والأماكن المقدسة ٠

## تعريف وتصنيف الأماكن المقدسة

أعتقد أننا بحاجة قبل كل شيء إلى توضيح ما يجول في خلد كل منا عندما نتحدث عن "الأماكن المقدسة". إذ يبدو لي أن وجود فهم وتعريف أساسيين لمكان مقدس ما، هو أمر حاسم في نقاشاتنا وذلك لخلق تفاهم أفضل بيننا، أو لوضع أساس لأي بحث في المسائل العملية المحيطة بالأماكن المقدسة. قد يقول البعض أن القداسة مرتبطة بأرض إسرائيل كلها، "أرض إسرائيل، هو المصطلح الذي يستخدمه اليهود في أكثر الأحيان" أو "الأراضي المقدسة" (وهو المصطلح الذي يستخدمه الفلسطينيون ليشمل فلسطين بأكملها). إلا أنه يبدو أن هناك أماكن معينة ضمن هذه المنطقة الجغرافية، يعتبرها أتباع ديانة أو أكثر، أكثر قداسة" أو "الأكثر قداسة". ولهذا فقد يكون من المفيد أن يتم الإتفاق على بعض المبادئ العامة لتصنيف الأماكن المقدسة بالإستناد إلى درجة قداستها. أعتقد أن علينا أن نفرق بين الأماكن ذات القداسة الفائقة، وبين مواقع أخرى، تمارس فيها عبادة نشطة، خاصة تلك المواقع التي هي بالأساس ذات أهمية تاريخية وثقافية. كما ينبغي إيلاء أكبر اهتمام بالمواقع ذات القداسة الفائقة وخاصة تلك التي تعتبر مقدسة لدى أكثر من ديانة، كما قد يكون من المفيد تنظيم قائمة بمثل هذه الأماكن.

## حرية الدخول إلى الأماكن المقدسة والعبادة فيها

إلى جانب ضرورة وجود تفهم أساس حول مكان مقدس ما، وتعريف له، فقد يكون من المفيد أيضا أن تتمكن من الاتفاق على بعض المبادئ الجوهرية بخصوص الأماكن المقدسة عموما. هناك اثنان من مثل هذه المبادئ لا غنى عنهما إذا ما أريد لمكان مقدس ما، أن يؤدي دوره الصحيح، وهما حرية الدخول إلى المكان المقدس لأولئك الذين يجلونه، وحرية العبادة لكل أولئك في الأماكن المقدسة أو دور العبادة الخاصة بهم.

لقد جرى قبول وتأكيد هذين المبدأين على شكل واسع من جانب المجتمع الدولي، وبدون الالتزام الصارم بهما، لن يكون بإمكاننا أبدا إقناع أبناء الشعبين واتباع الديانات الثلاثة بأن هناك احتراما حقيقياً قائما بشكل عملي لمصالح المؤمنين وللأماكن المقدسة التي هي مراكز لعلاقتهم الخاصة بالله.

مها كانت درجة قبول هذين المبدأين عالميا، فإن علينا أن نكون مدركين تماما حقيقة أن وضعهما موضع التنفيذ ليس بالأمر السهل، خاصة فيما يتعلق بالأماكن التي تعتبر مقدسة لدى أكثر من عقيدة، مثل الحرم الشريف في القدس والحرم الإبراهيمي في الخليل، وقد يبدو أن هذا ينطبق أيضا على الأماكن التي تعتبر مقدسة

لدى أكثر من مجموعة واحدة من المجموعات المختلفة في الديانة الواحدة، مثل كنيسة القيامة ٠

هكذا نرى أنه إضافة إلى الاتفاق على المبدأين المذكورين، فإنه سيكون على الأطراف ذات العلاقة أن توافق على ترتيبات عملية، تهدئ المخاوف وتلبي المتطلبات الدينية لأعضاء كل المجموعات المعنية بمكان مقدس ما ٠

يجب ضمان مبدأ حرية الدخول بشكل خاص إلى مكان ما، يعتبر مقدسا لدى أتباع عقيدة ما، بينما هو موجود تحت السيطرة الفعلية لأشخاص أو مؤسسات من عقيدة أخرى، إذ سيسعى اليهود مثلا إلى حرية الدخول ليس فقط إلى جبل الهيكل (الحرم الشريف)، الذي يقع تحت سيطرة الأوقاف الإسلامية، بل إلى مغارة الماخبيلاه (الحرم الإبراهيمي) في الخليل أيضا، وأماكن أخرى ذات أهمية دينية لليهود في أية بقعة تحت الحكم الفلسطيني، ومن الواضح أنه سيكون لدى المسلمين والمسيحيين توقعات مماثلة، بخصوص أماكنهم المقدسة الواقعة في مناطق تخضع للحكم الإسرائيلي٠

## إدارة الأماكن المقدسة والسيطرة عليها

لا شك أن أحد مواضيع النقاش الكبرى، سيكون مسألة مكانة وحقوق الأديان المختلفة فيها، ولعله من الطبيعي أن ترغب كل مجموعة دينية أن تسيطر على

الأماكن المقدسة بالنسبة لها وأن تديرها فعليا، بغض النظر عن مسألة السيادة السياسية على المنطقة التي توجد فيها ·

قد يكون مفيدا من أجل ذلك الوصول إلى نوع من الإجماع ووضع قواعد معينة تتعلق بنوع النشاط المناسب لأي مكان مقدس· أعتقد أنه لغرض المحافظة على قداسة مثل هذه المواقع ولمنع إساءة استخدامها، فإنه من الأفضل لكل المعنيين لو تم تخصيص الأماكن المقدسة للعبادة وللتعليم الديني والحج فقط، وإلا تستخدم لنشاطات ذات طبيعة غير دينية ·

ربما كان من المفيد أيضا أن نناقش سويا بعض التفاصيل العملية للإدارة والسيطرة، قد تكون بعض المشاكل العملية مشتركة لمكان مقدس ما، أو للأماكن المقدسة كلها، الأمن والنظام العام يقعان ضمن مثل هذه المسائل التي تنطبق على أي مكان مقدس، أما السؤال حول من يستطيع أو من ينبغي أن يكون بإمكانه ضمان الأمن والنظام العام على نحو أفضل، فهذه مسألة ذات أهمية حاسمة، إن أحد مخاوف الإسرائيليين التي يجب معالجتها تتعلق بسلامة الناس الذين يرغبون بزيارة مكان مقدس يقع تحت السيطرة الفلسطينية· النظام العام هو موضوع مهم، وخاصة في مواقع تعتبر مقدسة لدى أكثر من مجموعة واحدة، وقد يتطلب الأمر تفكيرا خلاقا، كما هي

الحال مثلا بالنسبة للعبادة في كنيسة القيامة في ظل ترتيبات الأمر القائم أو ما يعرف ب Status quo. نحن نعلم من تجربتنا إن مسائل مثل الصيانة والإصلاحات والتجديدات وخاصة الإبداعات قد تكون مصادر محتملة للاحتكاك يجب مناقشتها.

## أطراف أخرى معينه

الإسرائيليون والفلسطينيون، هم الطرفان السياسيان الرئيسان في النزاع الخاص بالوضع النهائي للقدس والأماكن المقدسة فيها، إلا أنه ليس بمقدور الإسرائيليين ولا الفلسطينيين تجاهل حقيقة أن هناك أطرافا أخرى كثيرة لها ارتباط خاص بالقدس وأماكنها المقدسة، ولها مصلحة حيوية في المواضيع التي جئنا لمناقشتها. إلى جانب ذلك، فإننا لا نستطيع أن نتجاهل حقيقة أن لإسرائيل اتفاقيات ملزمة مع المملكة الأردنية الهاشمية والكرسي البابوي عليها أن تحترمها، حيث أن لها انعكاساتها على الأماكن المقدسة، كما أن أمما ودوائر دينية أخرى كانت لها في الماضي أو قد يكون لها مستقبلا مطالب معينة، ينبغي أن تؤخذ بالحسبان. ولشرح الحاجة لان تتصف جميعا بالحساسية تجاه مخاوف الأطراف الأخرى، فإن على المرء أن يتذكر فقط المخاوف العميقة والقلق لدى الكنائس والأمم المسيحية الأرثوذكسية نتيجة المفاوضات التي قادت إلى توقيع اتفاقية أساسية بين إسرائيل والكرسي البابوي.

## الآثار والسياحة

إلى جانب الاهتمام بالمصالح الخاصة بالمؤسسات القومية أو الدينية الأخرى، فإن أية اتفاقية خاصة بالأماكن المقدسة ينبغي أن تقدم بنودا مرضية بالنسبة للأعمال الأثرية والعلمية، وبشكل خاص جدا للسياحة وذلك لمصلحة الفلسطينيين والإسرائيليين وآخرين، إن للسياح وخاصة الحجاج منهم حق غير قابل للتصرف في زيارة الأماكن المقدسة، وعلينا أن نتعاون بكل الطرق الممكنة لتسهيل مثل هذه الزيارات. ولا حاجة للقول، بأن السياحة والحج يولدان مصادر يمكن أن تستخدم لصيانة الأماكن المقدسة وإجراء إصلاحات عليها، وأن تساهم بشكل مهم في الاقتصاد الفلسطيني والإسرائيلي. كما أن البحث العلمي، بما في ذلك الدراسات الأثرية هو جزء لا يتجزأ من عالمنا الحديث، وبالتالي، فإن بنودا تتعلق بذلك يجب أن يتم وضعها فيما يتعلق بالأماكن المقدسة، إن مثل هذا العمل العلمي أو الأثري ينبغي طبعا ألا يعرض للخطر بأي شكل الأماكن المقدسة أو أن يقلل من قداستها، كلنا نعلم أن الحفريات التي جرت في المواقع المقدسة وحولها في القرن الماضي وفي الماضي القريب أيضا، كانت مسألة حساسة تتطلب اهتماما خاص، أما فيما يتعلق بالماضي القريب، ففي ذاكرتي طبعا النزاعات المحيطة بالحفريات التي جرت عند حائط المبكى

وموضوع فتح الطرف الشمالي للنفق عبر الحائط ليتمكن الحجاج والسواح الراغبين من زيارته ٠

## المراقبة والإشراف

يجب أن تتضمن أية اتفاقية خاصة بالأماكن المقدسة، آليات لضمان التطبيق الكامل لشروط الاتفاقية، لقد أحبطت المنافسة الدولية والدينية في أوائل هذا القرن محاولات إنشاء لجنة ما للأماكن المقدسة، تكون موضوعية وفعالة، ومع ذلك، فإنني أعتقد أنه في مرحلة من السلام والتعاون قد يكون ممكنا إنشاء مثل هذا الجسم، وبالتالي فإني أعتقد أن الفكرة جديرة بالإهتمام، إن الإختبار الحقيقي لمثل هذه اللجنة هو قدرتها على اكتساب ثقة الأطراف المهتمة على اختلافها، وأن تتوسط أو تحكم بنجاعة في النزاعات أو الأوضاع الطارئة التي قد تنشأ ٠

## منع الاحتكاك على خلفية دينية

يعلمنا تاريخ الأرض المقدسة، أن العواطف الدينية والتعصب، وكذلك جهل اتباع كل ديانة باتباع الديانات الأخرى، قادت كلها إلى صراع وسفك دماء مرات عديدة٠ ففي هذا القرن وحده، ما على الإنسان إلا أن يتذكر الأمثلة المؤلمة لحوادث سفك الدماء والموت التي كانت حصاد اضطرابات ١٩٢٩، وما حدث في الحرم

الشريف وعند حائط المبكى في تشرين الأول ١٩٩٠، والمجزرة التي وقعت في الحرم الإبراهيمي السنة الماضية. نعرف جميعا أن الانفعالات والتعصب والجهل وراء هذه المآسي، ما زالت موجودة بدرجة أو أخرى. ونكون أغبياء إذا اعتقدنا أن الاتفاقات والترتيبات السياسية ستكون كافية لمنع الاحتكاك في المستقبل. إن بذل جهد تعليمي جاد ومنسق، لن يكون أقل أهمية إن لم يكن أكثر أهمية من ذلك. إن على الإسرائيليين والفلسطينيين أن يراجعوا مناهجهم التعليمية، وبرامج الاتصالات الجماهيرية بتوجه يهدف إلى مقاومة الجهل والتعصب وخلق جو جديد من السلام والتعاون تشكله المعرفة والفهم للأديان الأخرى وتلهمه القيم الإنسانية السامية المشتركة في الديانات الثلاث .

من الأمثلة على نوع التعليم الذي أعتقد أنه ضروري، تلك البرامج الدينية التي يخرجها نور الدين ديريني (أبو جرير) وتذاع بالعربية في الإذاعة والتلفزيون الإسرائيليين، ففي عيد الميلاد، وفي رمضان، تؤكد هذه البرامج على القيم الإنسانية العالمية التي تشملها الكتب المقدسة للديانات الموحدة الثلاثة التوراة والعهد الجديد والقرآن .

إلى جانب فحص إمكانية تشكيل لجنة للإشراف ولمراقبة الاتفاقيات والترتيبات الخاصة بالأماكن المقدسة، فلربما كان علينا أيضا أن ننظر باعتبار إلى إيجاد لجنة دينية مشتركة لمراقبة المواد والبرامج التعليمية ٠

اسمحوا لي أن أختتم بالتأكيد بكل إخلاص، على أنني وزملائي الإسرائيليين جئنا لنستمع ونحاول أن نفهم، ولم نأت فقط بقصد "تسجيل نقاط" أو لنقدم مطالب آمل أن نكون قادرين على إجراء نقاشنا وفي بالنا هذه النظرة وهذا التوجه ٠

*　　*　　*　　*

## ملاحظة

أنا مدين بالشكر للسيد دانييل روسينج لمراجعته مسودة الدراسة، وإضافة تعليقات جوهرية إليها. استخلصت المنظور اليهودي الخاص بالقدس من المصادر التالية:


1. R.J Zwi Werblowsky, "The Meaning of Jerusalem to Jews, Christians and Muslims"
(Israel Universities Study Group for Middle Eastern Affairs, Jerusalem, 1983) 14.

2. Johon Bowker, "Feasibility Study for the Roads of Faith" (UNESCO, 1992) , 6

3. Raphael Jospe, "The Significance of Jerusalem :A Jewish Perspective", **Palestine Israel Journal of Politics, Economics and Culture. 2**(no. 2, 1995) 37

# الكتاب في سطور

**د. سري نسيبه**

يحمل شهادة دكتوراه في الفلسفة من جامعة هارفارد عام ١٩٧٨، والبكالوريوس في العلوم السياسية، الفلسفة والاقتصاد من جامعة أكسفورد – المملكة المتحدة. ويعمل رئيسا لجامعة القدس. قام بتأسيس وعضو في العديد من المؤسسات الفلسطينية ومنها "المجموعة الاستشارية الفلسطينية "بالقدس والتي يرئسها منذ عام ١٩٩٥ .وقد عمل في حقل التدريس في جامعة بيرزيت، وكان رئيس جمعية هيئة التدريس فيها بين عامي ١٩٧٨ – ١٩٩٠. وهو عضو في لجنة توجيه الوفد الفلسطيني المفاوض لمحادثات السلام، ورئيس كل من اللجنتين الثنائية والمتعددة في الطواقم الفنية. له العديد من المؤلفات والبحوث منها كتابة باشتراك مع مارك هيللر "بلا أبواق بلا طبول" حل قائم على أساس الدولتين للصراع العربي – الإسرائيلي. نيويورك: هيل ووانغ، ١٩٩١.

**د. مهدي عبدالهادي**

باحث ومؤرخ في القضية الفلسطينية ويرأس الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية في القدس. يحمل شهادة الدكتوراه في العلاقات الدولية من جامعة

برادفورد في بريطانيا. أمينا لسر مجلس التعليم العالي في الأراضي المحتلة (١٩٧٧-١٩٨٠) وأسس وتولى رئاسة جمعية الملتقى الفكري العربي في القدس (١٩٧٧-١٩٨٠) وزميلا في مركز العلاقات الدولية في جامعة هارفرد (١٩٨٤- ١٩٨٥) وعضو في عدد من الجمعيات والمؤسسات الفلسطينية في الداخل والخارج. ومن بين مؤلفاته: المسالة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية ١٩٣٤-١٩٧٤، المستوطنات الإسرائيلية في القدس والضفة الغربية المحتلة ١٩٦٧ - ١٩٧٧، تطور العلم العربي والانفصال الأردني: أسبابه وآثاره ١٩٨٨٠

## د.برنارد سابيلا

أستاذ مساعد في دائرة العلوم الاجتماعية في جامعة بيت لحم وعضو في عدد من الجمعيات والمؤسسات الفلسطينية منها عضوية الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية في القدس. يحمل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع من جامعة فرجينيا في الولايات المتحدة الأمريكية. وتتركز اهتماماته العلمية في شؤون المجتمع الفلسطيني والخصائص السكانية. ومن بين أبحاثه: مقدمة في علم الاجتماع ١٩٨٣ و"الهجرة المسيحية: مقارنة بين مناطق القدس ورام الله وبيت لحم "١٩٩١، وله العديد من البحوث والمقالات الأكاديمية.

محاضر في دائرة الدراسات الإسلامية والشرق الأوسط في الجامعة العبرية بالقدس، ومدير مركز دراسات المجتمع العربي في إسرائيل في بيت بيرل٠ زميل في مشروع الأبحاث حول القدس في معهد هاري ترومان للدراسات في الجامعة العبرية بالقدس، وأيضا زميل في مركز القدس للدراسات الإسرائيلية٠ يحمل شهادة الدكتوراه من الجامعة العبرية بالقدس في عام ١٩٩٠، وتتناول أبحاثه مجالات في الدراسات الإسلامية وتاريخ الشرق الأوسط الحديث والشريعة الإسلامية والعرب في إسرائيل٠ قام بنشر العديد من المقالات والبحوث، واصدر كتابين الأول حول "الأوقاف الإسلامية في القدس ١٩٤٨ - ١٩٩٠" إصدار مركز القدس للدراسات الإسرائيلية ١٩٩١، والكتاب الثاني "الحياة السياسية للعرب في إسرائيل" إصدار عام ١٩٩٢ ٠ وسيصدر له قريبا كتابا بعنوان "الأوقاف الإسلامية في القدس في عهد الانتداب البريطاني" عن دار النشر البريطانية المشهورة "فرانك كاس"٠